المشاركة العامة للمرأة

في عهد النبوة وعصور الازدهار

وواقع ودور المرأة المسلمة المعاصرة

إعداد الدكتورة

سعاد إبراهيم صالح

أستاذ الفقه المقارن

جامعة الأزهر - القاهرة

عميدة كلية الدراسات الإسلامية

والعربية بالمنصورة (سابقاً)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

محتويات البحث :

- مقدمة .
- لماذا المرأة المسلمة قضية ؟
- ماذا يعوق فاعلية المرأة المسلمة ؟
- الأصل العام فى القضية .
- الإسلام يعلى شأن المرأة .
- مشاركة المرأة فى الحياة الاجتماعية .
- نماذج لمشاركة المرأة فى العمل العام .
- واقع المرأة فى المجتمعات الإسلامية المعاصرة .
- المراجع .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

المشاركة العامة للمرأة في عهد النبوة وعصور الازدهار وواقع ودور المرأة المسلمة المعاصرة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على نبيه الأمين محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .. وبعد ..

فإن المرأة عبر العصور حظيت باهتمام بالغ وجهد كبير من قبل العلماء والباحثين على اختلاف نزعاتهم وتعدد مشاربهم ، وعلى تنوع تخصصاتهم وعلومهم ومجالات بحوثهم ، كما أن الشرائع المنزلة من عهد آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء ﷺ عنيت بالمرأة أشد العناية ، وحرصت عليها أشد الحرص ، وفى نصوص القرآن الكريم وما سبقه من الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل ما يشهد بهذه العناية الكبيرة بها ، وهذا الاهتمام البالغ بحقوقها .

غير أن هذه الدراسات وتلك البحوث كانت تختلف فيما بينها فى تكوين مفهوم عن المرأة ورسم صورة واضحة لها ، وبالتالى تختلف فى بيان ما لها وما عليها من الحقوق والواجبات ، وذلك تأثيراً بالبيئة والعادات تارة وانسياقاً مع جموع خيالى ورغبات عاطفية تارة أخرى ، وربما تأثراً بمخلفات فكرية قديمة ورواسب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عقدية موروثة فى بعض الأحيان ، وجريا وراء مصالح مادية فى كثير من الأحيان أيضا .

فبينما أقرت بعض الدراسات حق المرأة فى الحياة ، واعترفت بإنسانيتها كالرجل تماما وبتكريمها المطلق كالإنسان لأنها من بنى آدم المكرمين منذ خلق الإنسان لما فى قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ الإسراء/٧٠ .

نزلت بها دراسات وممارسات أخرى إلى مرتبة الحيوان المسخر لمصلحة الرجل . وفى ذلك يقول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ الزخرف /١٧ - ١٨.

وعلى مدى هذا التاريخ الطويل من الصراع كانت المرأة تكافح وتناضل فى سبيل الوصول إلى حقوقها قبل مجتمع الرجال ، فكانت مرة تصيب بعض التقدم ، وأخرى تخفق فى مسعاها وتعانى فى إثر ذلك آلام الفشل وضراوة العقاب ، وهى فى سعيها هذا كانت تلقى أذناً صاغية وتأييداً من بعض الرجال أحياناً كما كانت تلقى المحاربة والعداء الشديد من أكثر الرجال الآخرين الذين لا يهمهم إلا توفير مصالحهم وتأمين شهواتهم فى أكثر الأحيان وربما أظهر هؤلاء لها المودة والزلفى بادىء الأمر ، وربما تزيوا بزى المتعاطف معها المؤيد لها وفى نفوسهم الكيد لها والضحك عليها وتوريطها فيما يؤمن لهم رغباتهم ونزواتهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويوصلهم إلى ما يريدون دون جهد ولا تعب . فيزينون لها طريق السوء بدعوى تحريرها ومساعدتها فى الوصول إلى حقها فى المساواة مع الرجال ، ويخفون فى أنفسهم الكيد لها وتوريطها فيما يدمرها ويخرجها عن أنوثتها ومكانتها التى خلقت لها .

وما انطبق على المرأة عبر العصور ينطبق على المرأة المسلمة فى الوقت الحاضر بدرجة أكبر .. فهذه المرأة المسلمة تتجاذبها تيارات عنيفة :

التيار الأول :

يرى أنصاره ألا مكان للمرأة إلا داخل بينها ولا وظيفة لها ولا دور إلا الخدمة وتربية الأبناء وتلبية رغبات الرجل .. وإن خرجت المرأة من البيت لضرورة لا يمكن تجاهلها فيجب أن تظل تحت الرقابة والوصاية . ويدعو لعودة المرأة إلى البيت بعد أن نالت درجات عليا من التعليم وصارت لها مشاركتها العامة بدرجات متفاوتة .

التيار الثانى :

يطالب بحرية كاملة للمرأة ومساواة مطلقة فى الحقوق والواجبات .. ويشتط بعض أصحاب وأنصار هذا التيار إلى حد انكار وتجاهل الفروق الخلقية بين المرأة والرجل .

ويصل الشطط مداه حيث يطرح أسئلة تثير الشكوك بل تصادم صراحة القواعد والأحكام المستقرة والمستمدة من الأصول الشرعية .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن هذه الأسئلة : لماذا لا يكون الطلاق من حق المرأة ؟؟ ولماذا لا يكون من حقها التعدد كما هو حق للرجل ؟ وكيف يكون للمرأة نصف نصيب الرجل فى الميراث وقد خرجت إلى المدرسة والجامعة وأماكن العمل المختلفة ؟ وكيف تكون شهادة الأستاذة الجامعية نصف شهادة الرجل الأمى ؟؟ وغير هذا وذاك من الأسئلة التى تمثل اشكالات يتوجب على الفكر الإسلامى المستنير أن يتقبلها ويتحملها ويجيب عليها بكل سماحة الإسلام واعتداله وفقاً للحديث النبوى الشريف : **الحلال بين والحلال بين ...** إلى آخر الحديث .

التيار الثالث :

وهو التيار الوسطى : يرى أن المرأة هى نفس بشرية جديرة بالاحترام ، وطاقة إنسانية خليقة بالتقدير ، وأن اهدارها هو حرمان للمجتمع من هذه الطاقة التى يمكن أن تكون نافعة وبناءة إذا أمكن توجيهها فى إطار مبادىء الإسلام ودون الخروج على أى من ثوابته .

ولكل من هذه التيارات مرتكزاته وله أنصاره ، كما أن له تداعياته الفكرية والتطبيقية فى واقع الحياة مما يستدعى دراسة مستفيضة وحواراً مستمراً للوصول إلى كلمة سواء ...

ولما كان المجال لا يتسع هنا للدراسة المستفيضة لقضايا المرأة بمختلف تعريفاتها وتداعياتها وانعكاساتها وخاصة من جهة دورها فى العمل العام فإننا سنحاول فى هذا البحث إبراز دور المرأة وفعاليتها ومدى مشاركتها فى بناء الأمة من خلال عرض المرتكزات الأساسية وعدد من الصور والنماذج المتميزة لدور

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المرأة فى صدر الإسلام وعصور الازدهار ومن ثم الحديث عن دور المرأة المسلمة فى المجتمع المعاصر

وفى ثنايا هذا البحث نناقش النقاط التالية

لماذا .. للمرأة المسلمة قضية ؟

كان من أخطر التحديات فى وجه المراة المسلمة تلك الدعوة او الدعوى التى انطلقت باسم تحرير المراة فى اوائل القرن العشرين الميلادى ، والتى حمل لواءها كثيرون غرر بهم وظنوا أنهم يستهدفون حقاً ضائعاً بينما كانت حركة تحرير المرأة فى جانب كبير منها جزءاً من مخطط الاحتواء الغربى والغزو الثقافى والاجتماعى الذى يستهدف إخراج المراة عن رسالتها وقيمها ودفعها إلى أمواج السفور والتحلل وتجاهل هؤلاء أن الإسلام فى الحقيقة هو الذى وضع ركائز تحرير المراة الأصلية

ذلك أن الله تعالى هو ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ طه /٥٠ أى أعطى كل شىء من مخلوقاته القدر الذى يناسبه فى كل شىء ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ ثم هداه الى ما ينتفع به وينصلح أمره عليه

أما هذه المحاولة فقد استهدفت الأسرة والأخلاق والقيم والعرض الإسلامى بإحداث ثغرات وخلق عقلية جديدة تفكر فى إطار المفهوم الغربى العارى عن القيم والحصانه

وقد تصاعدت هذه الموجة حتى خلقت مفاهيم حاطة أشبه بالمسلمات أدارت رأس المراة وبوشك ان تفسد العلاقات الطبيعيه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والفطرية بين المرأة والرجل ، والزوج والزوجة ، والآباء والأبناء في عشرات المواضيع والقضايا ، فغدت الحياة الاجتماعية بعيدة في كثير من نوافيها عن المفهوم الإسلامي الأصيل .. فإن سبحانه وتعالى هو ﴿ الذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِ وَالْمِيزَانَ ﴾ وأمرنا :

﴿ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ الرحمن /٨ – ٩ وهو الذى قال ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ الإسراء /٧٠ .

وليس (بنو آدم) إلا الرجل والمرأة متساويين فى هذه البنوة ومن ثم فهما متساويان فى هذا التكريم لأن النساء " شقائق الرجال " كما قال ﷺ .

إن المفاهيم التى طرحتها حركة تحرير المرأة بالإضافة إلى ما قدمته مفاهيم الاستشراق والتبشير والتغريب كانت جميعها فى حاجة إلى مراجعة ، وكانت مختلفة مع الفطرة وبعيدة عن الاعتدال والوسطية .. فقد أثبتت الدراسات والأبحاث أشياء كثيرة جديرة بالنظر :

أولاً : ليس الذكر كالأنثى :

فالمرأة تختلف عن الرجل فى كثير من الصفات : فى الصورة والسمة والصفات . ويرجع اختلاف المرأة عن الرجل إلى عوامل ثلاثة :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١- أن خصائص الأنوثة ومواهبها كقانون الزوجية والأمومة وذكاء العاطفة ليست أسبابا للتكسب ﴿ وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ النساء /٣٢ .

٢- أن حظها من الاتزان والتريث فى التفكير مختلف عن حظ الرجل ، فالرجل يتعامل مع غير ذى عاطف ، مع المادة الصماء والجماد ، أما المرأة فهى تتعامل مع أشرف شىء فى الوجود وهو الإنسان ، فتحمله ، وترضعه وتربيه . فتحتاج إلى حنان جياش يضم الطفل ويتحمل متاعبه .. فلا غرو أن خلقت على هذه الصفة من العاطفة التى تؤهلها للقيام بهذا الدور الهام . ومن هنا كان وصف النبى ﷺ للنساء بنقصان العقل المعلل فى نقصان الشهادة ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ البقرة /٢٨٢ ، يقول الإمام محمد عبده فى تفسير قوله تعالى :﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ النساء /٣٤ . أن الرجل يجب أن يكون هو الكافل للمرأة ، وسيد المنزل لقوة بدنه وعقله ، وكونه أقدر على الكسب والدفاع . وأن المرأة يجب أن تكون مديرة المنزل ومربية الأولاد لرقتها وصبرها وكونها واسطة فى الاحساس والتعقل بين الرجل والمرأة . فيحسن أن تكون واسطة لنقل الطفل الذكر بالتدريج إلى الاستعداد للرجولة

ولجعل البنت كما يجب أن تكون من اللطف والدعة والاستعداد لعملها الفطرى . أ.هـ (تفسير المنار جـ٤صـ٣٥٤) .

٣- ما يطرأ على قواها البدنية والنفسية من ضعف أو تغير بسبب عوارض الحيض والحمل والولادة .

والقرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً قرر ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ آل عمران /٣٦ وقرر أن المرأة لها تكوين رقيق خاص ، مع هذا الاختلاف فى " وظيفة المرأة " فإنه لا ينقصها شىء فى نظر الإسلام من مساواتها للرجل فى الحقوق العامة باستثناء قيادة الدولة . والنصوص الشرعية لا تحول دون تمتعها بكافة الحقوق ولكن فى إطار الضوابط الإسلامية التى تحول دون أن تصبح المرأة رجلاً .

ثانيا : الأمومة :

إن حضانة الأم لطفلها عمل ضخم بعيد المدى فى تكوين الطفل لا يمكن أن يساويه أى عمل آخر تقوم به المرأة ، أو يعوضه أى بديل آخر كالحاضنات أو الخادمات وقد سجل القرآن الكريم هذه المهمة فى وضوح :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ الروم /٢١ .

ثالثا : ثبات طبيعة المرأة وقوامة الرجل :

من الحقائق التى أخفاها دعاة تدمير المرأة والأسرة عن الناس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حقيقة ثبات طبيعة المرأة ثباتاً تاما خلال العصور ، وأن العصر الحديث لم يكن فيه من المتغيرات الاجتماعية والحضارية ما يحطم شيئاً من مهمة المرأة أو رسالتها أو طبيعة حياتها . ويذهب هؤلاء المبطلون إلى أن حرية المرأة وعملها فى العصر الحديث من شانه أن يحطم قوامة الرجل .

ونقصد بها الدرجة التى رفع الله بها الرجل على المرأة وما يتبعها من تحمل المسئولية بعد أن سوى بينها فى الحقوق والواجبات بقوله تعالى :﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ البقرة /٢٢٨ الذى يعنى فيما يعنيه أن كل ما يحق للزوج طلبه وانتظاره من زوجته من أمور شرعية من طاعة وأمانة وعفة وإخلاص وحسن معاشرة ومعاملة ومودة واحترام وفقه وتكريم وبر وعدم مضارة أو مضايقة أو أذى أو سوء خلق ، أو تكليف بما لا يطاق يحق للزوجة طلبه وانتظاره كذلك .

فهى كلمة جامعة وضعت قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل فى جميع الحقوق إلا أمراً واحداً عبر عنه عز وجل بقوله : ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ وكلمة ﴿ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فى مقامها بليغة المدى ، لأن هذه الكلمة عامة تعنى ما هو متعارف عليه أنه حق ، وهذا لا يقاس بزمن معين فيما ليس فيه تحديد من كتاب الله وسنة رسوله ، بل يظل يتبدل ويتطور حسب تبدل ظروف الحياة الاجتماعية وتطورها . والضابط العام فيه هو ألا يحل حراما ، ولا يحرم حلالا .

وهل مشاركة المرأة فى العمل مع الرجل مؤدية إلى إلغاء الفروق الطبيعية أو الجنسية بما يترتب عليها من اختلاف فى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحقوق والواجبات الاجتماعية .. هذه الفروق أبدية ، أما القوانين والنظم فأعراض متغيرة .

وهكذا نجد أن المحاولة التى قام بها النسائيون دعاة تحرير المرأة فى العصر الحديث لم تكن فى الحقيقة إلا ضد الأمة وضد قيمها وضد رصيدها المعنوى والمادى جميعها .. وعلى حساب الأسرة المسلمة وحساب المرأة نفسها ، فإنها محاولة مسمومة مضللة ، حاولت أن تقدم مجموعة خاطئة من المسلمات ، ثم مضت تركز هذه المفاهيم خلال تلك السنوات الطويلة من خلال قنوات الصحافة والإذاعة والتلفاز والمؤتمرات والندوات ، وهى فى مجموعها ترمى إلى خلق عقلية للمرأة خارج نطاق الزوجية والأسرة والأمومة تصورها بصورة القادرة على الحياة فى المجتمع مادياً وعلى أن تجد موردها الذى تعيش به .. وأن هذا يعطيها الحق فى أن تختار الطريق الذى ترضاه فى الحياة الاجتماعية والذى ربما تخرج به عن الضوابط والحدود والأعراف التى رسمها الدين .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ماذا يعوق فاعلية المرأة المسلمة ؟

من المؤكد أننا لا يمكن أن نتكلم عن دور المرأة المسلمة فى تكوين الأسرة الفاعلة إلا إذا وضعت فى الميزان الصحيح الذى أعطاه لها التشريع الإسلامى فى جميع حقوقها ، وأزلنا عنها آثار التقاليد البيئية الظالمة التى توارثتها الأجيال .

إن إحقاق الحق فى موضوع المرأة مثل إحقاق الحق فى أى جانب من جوانب الشريعة ، هو انتصار لشرع الله على أن لموضوع المرأة أهمية خاصة لعدة اعتبارات منها :

١- المرأة هى أم المسلم وأخته ثم هى زوجته وابنته ، فإذا جمعت المرأة بين جناحيها كل هؤلاء فمن يكون أعز منها ؟

٢- المرأة المسلمة أكثر تعرضاً لافتراس جاهليتين : جاهلية القرن الرابع عشر الهجرى ، أى جاهلية الغلو والتشدد والتقليد الأعمى لما وجد عليه الآباء ، وجاهلية القرن العشرين الميلادى ، أى جاهلية العرى والإباحة والتقليد الأعمى للغرب ، وكلتا الجاهليتين خروج على شرع الله .

٣- المرأة نصف المجتمع ورئته المعطلة كما يقولون ، معطلة عن تخريج جيل مؤمن مستنير ، ومعطلة عن المشاركة فى إنهاض الأمة اجتماعياً وسياسياً ، فتحرير المرأة المسلمة إذن تحرير لنصف المجتمع المسلم ، ولن تتحرر المرأة إلا مع الرجل ، ولن يتحرر الفريقان إلا بإتباع هدى الله المبين.

ومن هنا يتوجب علينا أن نقف أمام الأسباب والعلل التى حالت دون قيام المرأة المسلمة بدورها كاملاً ومشرقاً داخل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أسرتها وفى إطار مجتمعها .

أولى هذه العلل :

إن المسلمين انحرفوا عن تعاليم دينهم فى معاملة النساء ، وشاعت بينهم روايات مظلمة وأحاديث إما موضوعة أو قريبة من الوضع انتهت بالمرأة المسلمة إلى الجهل الطامس وإلى العزلة والاستعباد . فأعادتها إلى ما يقرب من الجاهلية الأولى حتى أصبح تعليم المرأة معصية ، وذهابها إلى المسجد محظوراً ، ومشاركتها فى شئون المجتمع أو انشغالها بحاضره ومستقبله شيئاً منكراً عليها.

يبين الشيخ **محمد الغزالى** مدى خطورة سيادة بعض الأحاديث الضعيفة على العقول وأخذها حجة على حبس المرأة ، ومنعها من المشاركة فيما أعطاها الله لها من حقوق ويضرب مثلاً لذلك ما روى عن السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ : **إن المرأة لا ترى أحداً ولا يراها أحد وقد أقر النبى ﷺ ذلك ، وضم ابنته إلى صدره قائلاً : "ذرية بعضها من بعض "** .

قال - معقباً على الحديث : إنك تحكى حديثاً منكراً لم يذكره كتاب سنة محترم ، إنك تحكى حديثاً يخالف تواتر القرآن الكريم والأحاديث الصحاح ، وسيرة النبى ﷺ وخلفائه الراشدين .. والوضاعون اختلقوا أحاديث تفرض الأمية على النساء وصدقهم المخدوعون ، فلم يفتحوا مدرسة للبنات واختلقوا أحكاماً تمنع المرأة من ارتياد المساجد .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومضوا فى جهالتهم حتى قصروا وظيفتها دينا ودنيا على الجانب الحيوانى وحده .

(محمد الغزالى " قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة ص٦١ ") ، (تحرير المرأة فى عصر الرسالة جـ١ ص٤٣ وما بعدها " لعبد الحليم أبو شقة ") .

العلة الثانية :

استندوا فى تعويق مسرة المرأة إلى متشابهات من النصوص ، تاركين المحكمات البينات ففريق من الناس لا يكفون عن الاحتجاج بالآيات الواردة فى شأن " نساء النبى ﷺ " من سورة الأحزاب فى قوله تعالى لهن : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنْ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ الأحزاب ٣٢ ـ ٣٣ .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ فوجد من الآباء من يزوج ابنته بغير رضاها ، رغم أن هذا الحق يلقى القبول والتأييد عند معظم الفقهاء بناء على أدلة قوية صريحة .

العلة الثالثة :

لم يقف هؤلاء الفريق عند حد استغلال المتشابه من النصوص وترك المحكم ، بل استغلوا أحاديث صحيحة ، ووضعوها فى غير موضعها واستغلوها فى هضم حق المرأة ، كالحديث الذى طالما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اتخذوه عضداً يستندون عليه فى تبرير نظراتهم إلى المراة وهو حديث وصفهن بأنهن " ناقصات عقل ودين " . ونص الحديث كما ورد فى الصحيحين :"***ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن*** " وقد وردت على الحديث تفسيرات من العلماء ترجع إلى المناسبة التى ورد فيها الحديث ، ومن وجه إليه الخطاب ، ومن حيث الصياغة التى صيغ بها الخطاب حتى يتبين دلالته على معالم شخصية المرأة .

فمن ناحية المناسبة قيل النص من خلال عظة النبى ﷺ للنساء فى يوم عيد فهل نتوقع من الرسول الكريم صاحب الخلق العظيم أن يغض من شأن النساء أو يحط من كرامتهن ، أو ينتقص من شخصيتهن فى هذه المناسبة ؟؟

ومن ناحية من وجه إليه الخطاب فقد كن جماعة من نساء المدينة وأغلبهن من الأنصار اللائى قال فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب الأنصار .

وهذا يفسر لنا ما قاله الرسول ﷺ :"***ما رأيت أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن*** " .

وأما من حيث صياغة النص فليست صيغة تقرير قاعدة عامة أو حكم عام وإنما هى أقرب للتعبير عن تعجب رسول الله ﷺ من التناقض القائم فى ظاهرة تغلب النساء ، وفيهن ضعف - على الرجال ذوى الحزم ، أى التعجب من حكمة الله : كيف وضع القوة حيث فطنة الضعف ، وإخراج الضعف من فطنة القوة .

ومن الجدير بالذكر أن قوله ﷺ "***ناقصات عقل ودين*** " جاء مرة واحدة وفى مجال إثارة الانتباه والتمهيد اللطيف لعظة خاصة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالنساء ، لم تأت قط مستقلة فى صيغة تقريرية سواء أمام النساء ، أم أمام الرجال .

(تحرير المرأة فى عصر الرسالة جـ صـ٢٤ ، ٢٥)

ومثل حديث :" شاوروهن وخالفوهن " وهو حديث لا أصل له ، وهو مخالف لما جاء فى القرآن من تشاور الوالدين أى الأب والأم جميعاً فى فطام الطفل وفصاله : ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ البقرة ٢٣٣ .

كما أنه مخالف لما ثبت فى صحيح السنة والسيرة من مشاورته ﷺ لزوجه أم سلمة فى غزوة الحديبية ، وأخذه برأيها ، الذى كان فيه الخير والصواب ثم كان الفتح المبين للمسلمين .

العلة الرابعة :

إجتهادات خاطئة أو مرجوحة صدرت من بعض علماء السلف - وجل من لا يخطىء - وقد عظم شأن تلك الاجتهادات وتضخمت نتائجها لثبات توارثها قروناً متطاولة بفضل الجمود والتقليد ، ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول : " .. فإنه ما من أحد من أعيان الأئمة من السابقين الأولين ومن بعدهم إلا وله أقوال وأفعال خفى عليهم فيها السنة . وهذا باب واسع لا يحصى مع أن ذلك لا يغض من أقدارهم ، ولا يسوغ اتباعهم فيها ، قال مجاهد والحكم بن عتيبة ومالك وغيرهم : ليس أحد من خلق الله إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبى ﷺ " أعلام الموقعين جـ٣ صـ٢٨٤ .

ورحم الله الشوكانى حيث يقول :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" فالتعصب (للإمام) بأن تجعل ما يصدر عنه من الرأى ويروى له من الاجتهاد حجة عليك وعلى سائر العباد ، فإنك إن فعلت ذلك كنت قد جعلته شارعا لا متشرعا ومكلفا لا مكلفا " .

وأيا كانت الأخطاء والانحرافات فمن رحمة الله بالمسلمين أن يظل بينهم قوم عدول قائمون بأمر الله ، وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ :" **إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها** " (رواه أبو داود) .

وإذا كان الاستشهاد بالهدى النبوى أمرا مطلوبا وضروريا لتصحيح مسار حياتنا فى جميع المجالات ، فهو أشد طلبا وأكثر ضرورة فى مجال مشاركة المرأة فى الحياة الاجتماعية فالتطبيقات العملية لمشاركة المرأة فى العهد النبوى كانت سننا يهتدى بها ونماذج رائعة يقتدى بها ، ولا عجب فى ذلك فالله عز وجل يقول : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْأَخِرَ﴾ الممتحنة /٦ ولكن بدلا من أن يحتذى بهذه النماذج فى تطبيقات جديدة بفضل تطور المجتمعات ونموها وتوجيه القيم الدينية الرفيعة بَعُدَ المسلمون فى حياتهم عن هذه الأسوة الحسنة وتجافوا عنها سواء بالإفراط أو بالتفريط .

أما النصوص المعبرة عن تلك السنن والنماذج فقد بقيت مسطورة فى الكتب فحسب تنتظر من يسقطها بحق على واقع الحياة فى المجتمع الإسلامى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأصل العام فى القضية

بعد أن بينا أبعاد قضية المرأة المسلمة والعلل والأمراض التى تعوق مسيرتها .. لنا أن نتساءل : ما هو الأصل العام الذى نصدر عنه فى تقرير وضع المرأة فى الإسلام مقارناً بوضع الرجل ؟

هل الأصل هو التسوية إلا ما دلت النصوص على الاختلاف فيه بينهما ؟

أم أن الأصل هو الاختلاف إلا ما دلت النصوص على التساوى فيه ؟

للإجابة على هذا السؤال ينبغى أن نبين مبادىء الإسلام فى إصلاح شأن المرأة ، لأن من خلالها سنقرر أن الأصل هو المساواة بينهما إلا ما دات النصوص على الاختلاف فيه .

تتلخص المبادىء الإصلاحية التى جاء بها الإسلام فيما يتعلق بالمرأة فى مبدأين أساسيين هما :

المبدأ الأول :

أخوة النسب البشرى - فهى أخت الرجل إذ تنتسب وإياه إلى أب واحد وأم واحدة لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات ،١٣ .

فهو ينادى الجميع بكلمة (الناس) معلناً أنه خلقهم من أب واحد وأم واحدة .. ولفظ (الناس) فى اللغة يشمل أفراد الإنسان كافة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رجالاً ونساء .

ورسول الله ﷺ يؤكد هذه الحقيقة بقوله : "***إنما النساء شقائق الرجال*** " بأسلوب الحصر وبناء على هذه الأخوة الشقيقة فإن الأصل الذى ينبغى أن يستصحب دائماً هو أن كل ما ثبت من حكم للرجل ثبت مثله تماماً للمرأة إلا ما بينت النصوص الشرعية اختصاصه بأحدهما فهو الذى يستثنى من القاعدة المستصحبة أصلاً .

وبناءاً على إقرار هذه القاعدة فإننا لن نحتاج إلى استقصاء كل الأحكام التى تتساوى فيها المرأة مع الرجل فى الإسلام ، إذ أن الأصل فى كل حكم هو المتساوى بينهما فيه ما دام النص الشرعى لم يبين اختصاص أحدهما به دون الآخر .

إن المرأة تتساوى مع الرجل فى الأمور الجبلية الفطرية التى ترجع إلى الطبيعة البشرية فى عمومها والتى لا فارق فى أصلها بين الجنسين ، مثل الانجذاب الفطرى فى كل منهما للآخر ، ورغبة كل منهما فى أن يكون محبوباً مقبولاً منه ، ورغبته فى أن يوفق إلى شريك فى الحياة متوافق معه . ولذلك أثِرَ عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه وجه أولياء أمور النساء إلى مراعاة هذا الجانب فى النساء وعدم إغفاله البتة ، وعلل لهم هذا بقوله" ***فإنهن يحببن لأنفسهن ما تحبون لأنفسكم*** " وهو تقرير لحقيقة فطرية تغيب أحياناً عن بعض الرجال أو يتجاهلونها .

وحين نقارن بين كلمة عمر هذه التى قالها بعد أن تربى فى الإسلام وصاحب النبى ﷺ وبين ما روى عنه من أنه وهو فى الجاهلية ، وأد بعض بناته وقوله عن حاله وحال الجاهليين قبل الإسلام وبعده :" كنا فى الجاهلية لا نَعُدُّ النساء شيئاً ، فلما جاء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإسلام وذكرهن الله رأينا لهن بذلك علينا حقاً " ندرك حينئذ ما الذى يفعله فقه الإسلام وتربيته بالمسلمين .

ومن هذا أيضاً ما قاله عبد الله بن عباس ﷺ " إنى لأحب أن أتزين لامرأتى كما أحب أن تتزين لى " والنصوص فى هذا كثيرة.

المبدأ الثانى :

المساواة بين الرجل والمرأة فى الإنسانية : وذلك فى قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةَ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ النساء آية /١ .

والشاهد من هذه الآية يتعلق بثلاث جمل :

الجملة الأولى : قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ وبما أن المرأة داخلة مع الرجل فى مفهوم كلمة (الناس) فهى مخاطبة معه بتكاليف التقوى ، أى أن الخطاب متوجه إليها باعتبار خصوصية الإنسانية فيها ، فهى إذاً إنسان ما كما هو إنسان .. ويؤكد هذا المعنى بما جاء فى سورة الأحزاب من توجه الخطاب إلى إنسانية كل منهما بالتكليف وحمل الأمانة :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ الأحزاب آية ٧٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجملة الثانية :

قوله سبحانه : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ فإن دلالة هذا القول على النسبة الروحية أوضح وأوكد من دلالته على اخوة النسب الحسى الذى لا بد فيه من نفسين اثنتين لا نفس واحدة ، ولاسيما أن النفس فى اللغة تدل على الروح ، وعلى الصفات المعنوية للمرء ولا تفتقر دلالتها على شخص الإنسان الظاهر للحس . (الإسلام والمرأة المعاصرة للبهى الخولى صـ٢١) .

الجملة الثالثة :

قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ فإنها مع سابقتيها تؤكد الدلالة على وحدة المعنى الإنسانى .

وفى سورة الأعراف :﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ الأعراف /١٨٩ . والآية تنطوى على تقرير كون الرجل والمرأة زوجين يكمل أحدهما الآخر ، وكونهما بناء على ذلك فى مرتبة واحدة من ناحية الحياة الإنسانية ، وكل ما فى الأمر أن لكل منهما وظيفة تناسلية مختلفة عن وظيفة الآخر وحسب .

بتقرير هذين العنصرين ، وامتزاج أحدهما بالآخر يتآلف الوصف العام الذى يشترك فيه كل من الرجل والمرأة على نحو من المماثلة التامة لا يفترق فيه أحدهما عن الآخر .

وعلى أساس هذا الوصف - إنسانية المرأة - وتلك المماثلة قرر الإسلام للمرأة نفس ما قرر للرجل من أهلية دينية واقتصادية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واجتماعية وقبل أن نستعرض بيان هذه الأهلية فى مجالاتها المختلفة يتأكد ما يلى :

أولاً : أن جمهور العلماء والمفسرين متفقون على أمر مهم بالنسبة لدلالة النص القرآنى ، وهو أن كل ما جاء فى القرآن من خطاب موجه إلى المؤمنين والمسلمين فى مختلف الشئون بصيغة المفرد المذكر والجمع المذكر مما يتصل بالتكاليف والحقوق والأعمال العامة يعتبر شاملاً للمرأة دون أى تفريق وتمييز إذا لم يكن فيه قرينة تخصصية ، ومن ذلك التكاليف التعبدية والمالية والبدنية والحقوق والمباحات والمحظورات والتبعات والآداب والأخلاق الفردية والاجتماعية وما يترتب على ذلك من ثواب وعقاب فى الدنيا والآخرة .

ومن ذلك مساواة المرأة بالرجل فى الحدود :﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المائدة / ٣٨ ـ ٣٩ .

وفى سورة النور : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ النور /٢ .

وفى تحقيق المماثلة فى القصاص يقول تعالى فى سورة البقرة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى ﴾ البقرة /١٧٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفى المساواة بين الرجل والمرأة فى الآداب والأخلاق نجد قوله تعالى فى سورة النور : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ النور /٣٠ ، ٣٩ .

وفى المساواة بينهما فى الأجر والثواب ونتائج الأعمال يقول تعالى فى سورة الأحزاب : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب /٣٥ .

حيث سوت الآية بين الرجل والمرأة فى المركز والتنويه والوعد الكريم بالنتائج المترتبة على الإيمان والإسلام ومظاهرهما من طاعة وصدق وصبر وخشوع وتصدق وصيام وحفظ فروج وذكر كثير لله ، وتضمنت تقرير واجبها أو إيجاب ذلك عليها سواء بسواء .

ثانيا : أن جمهور العلماء متفقون كذلك على مثل هذا بالنسبة لمدى نصوص الأحاديث النبوية الموجهة إلى المسلمين والمؤمنين بصيغة المفرد المذكر إذا لم يكن فيها قرينة مخصصة ، وهناك آلاف الأحاديث التى ينطبق عليها ذلك فى الإيمان والعلم والتقوى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والطهارة والصيام والزكاة والحج والأطعمة والأشربة والآداب والأخلاق . وللتمثيل - فقط - نورد الأمثلة التالية :

١- روى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال : ﴿ ***لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه*** " .

٢- ما رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال : " ***المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده*** " .

ثالثاً : أن هناك أحكاماً تكليفية خاصة بالرجال دون النساء رفعها الله عن المرأة نظراً لطبيعة جنسها وعدم مسئوليتها عن الانفاق والكسب ولغلبة العاطفة عليها فى تصرفاتها كأحكام الشهادة والمواريث والخروج ووجوب الخروج إلى صلاة الجماعة وغير ذلك .

رابعاً : أن الشارع الحكيم قرر قاعدة قويمة لميزان التفرقة بين الرجل والمرأة فى بعض التكليفات وتوزيع الأعمال بعد أن قرر أن الأصل هو المساواة والمماثلة فى الوصف العام المشترك بينهما وهو الإنسانية ووحدة الأخوة فى النسب ، فلا يليق لأحد التجاوز عن هذه القاعدة ومخالفتها وذلك فى قوله تعالى :

﴿ وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ النساء /٣٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

روى فى سبب نزولها ثلاث روايات : **إحداها** عن مجاهد قال : قالت أم سلمة رضى الله عنها :" يا رسول الله تغزو الرجال ولا تغزو النساء وإنما لنا نصف الميراث " فأنزل الله تعالى هذه الآية .

والثانية : عن عكرمة أن النساء سألن الجهاد فقلن : وددنا أن الله جعل لنا الغزو فنصيب من الأجر مثل ما يصيب الرجال .. فنزلت الآية .

والثالثة : عن قتادة والسدى قالا : لما نزل قوله تعالى : ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ قال الرجال : إنا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا كما فضلنا عليهن فى الميراث فيكون أجرنا على الضعف من أجر النساء ، وقالت النساء : إنا لنرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال فى الآخرة كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم فى الدنيا فأنزل الله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾ النساء /٣٢ .

قال الإمام **محمد عبده** فى تفسير المنار : " وسبب تلك الروايات الحيرة فى فهم الآية ومعناها الظاهر ، وهو أن الله تعالى كلف كلا من الرجال والنساء أعمالاً ، فما كان منها خاصاً بالرجال لهم نصيب من أجره لا يشاركهم فيه النساء ، وما كان خاصاً بالنساء لهن نصيب من أجره لا يشاركهن فيه الرجال ، وليس لأحدهما أن يتمنى ما هو مختص بالآخر . ففى هذا التعبير عناية النساء وتلطف بهن وهن موضع الرأفة والرحمة لضعفهن وإخلاصهن فيما تمنين ، فأراد الله أن يختص النساء بأعمال البيوت والرجال بالأعمال الشاقة التى فى خارجها ليتقن كل منهما عمله ويقوم به كما يجب مع الإخلاص له .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتنكير لفظ " نصيب " لإفادة أن ليس كل ما يعمله العامل يؤجر عليه ، وإنما الأجر على ما عمل بالإخلاص "

تفسير المنار جـ٤ صـ٥٧ " .

ويدخل فى هذا النهى تمنى كل ما هو من الأمور الخلقية كالجمال والعقل إذ لا فائدة فى تمنيها لمن لم يعطها .. ولا يدخل فيه ما يقع تحت قدرة الإنسان من الأمور الكسبية ، إذ يحمد من الناس أن ينظر بعضهم إلى ما نال الآخر ويتمنى لنفسه مثله وخيرا منه بالسعى والجد ، والتمنى المنهى عنه يدخل فى حد الاختيار كأن يتمنى كل منهما العمل النافع على الوجه الذى تكون به الفائدة تامة من العناية والإنفاق .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإسلام يعلى شأن المرأة

من الحقائق القرآنية الكبرى أن القرآن قرر للمرأة أهلية تامة وحقاً متكاملاً غير مقيد بأى قيد - عدا ما حرم الله ورسوله - فى جميع التصرفات المدنية والاقتصادية والشخصية ، بحيث جعل لها الحق والأهلية لحيازة المال مهما عظم مقداره ، والإرث ، والهبة، والوصية .. والتصرف فيما تحوز وتملك ، وشرط موافقتها على الزواج وعدم الحق لوليها بتزويجها بمن لا تريد دون رضاها ، وشرط عودتها إلى زوجها الذى طلقها إلا بموافقتها ورضاها وقناعتها ، وفداء نفسها منه " **الخُلع** " وعدم منعها من العودة إلى زوجها الذى طلقها " **العضل** " وغير ذلك مما لم تصل إليه المرأة فى أى حضارة من الحضارات ولا دين من الأديان .

أولاً : تقرير أهليتها للتدين :

فى تقرير أهليتها للتدين وتلقى التكاليف الشرعية كان الخطاب متوجهاً إليها باعتبار خصوصية الإنسانية فيها ، وهى فى ذلك مثل الرجل - كما قدمنا - والذى يقرر ذلك ويؤكده أن الله تعالى أشرك حواء مع آدم - عليهما السلام - فيما خاطبه به ، وأمره ونهاه ، فحين أمره أن يسكن الجنة ونهاه عن أن يأكل من الشجرة ووجه إليهما الخطاب معاً : ﴿ وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ البقرة /٣٥ .

وحين أنكر سبحانه ما كان من مخالفة أمره ، وجه الإنكار إليها حقاً ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ ﴾ الأعراف /٢٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتأكيد لمساواتها للرجل فى تلك الأهلية جعلت مستقلة عنه فيها كل الاستقلال لكل منهما مسئوليته الخاصة عن نفسه عند الله حيث لا تغنى نفس عن نفس شيئاً .

يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ آل عمران /١٩٥ .

قال الإمام **محمد عبده** : وفى ذلك دليل على أن الذكر والأنثى متساويان عند الله تعالى فى الجزاء كما تساويا فى العمل حتى لا يغتر الرجل بقوته ورياسته على المرأة فيظن أنه أقرب إلى الله منها ، ولا تسىء المرأة الظن بنفسها فتتوهم أن جعل الرجل رئيساً عليها يقتضى أن يكون أرفع منزلة عند الله منها .

وقد بين الله علة هذه المساواة بقوله ﴿ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ فالرجل مولود من المرأة والمرأة مولودة من الرجل فلا فرق بينهما فى البشرية ، ولا تفاضل بينهما إلا بالأعمال ، أى وما تترتب عليه الأعمال ويترتب عليها من العلوم والأخلاق وآية سورة الممتحنة التى تبين ما كان للنساء من بيعة خاصة بهم فى الإسلام دون بيعة الرجال لتدخل كل منهن الإسلام من باب غير باب زوجها أو أبيها وهى قوله تعالى :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الممتحنة /١٢ .

هذه الآية عظيمة الدلالة والمدى ، فقد أمرت النبى ﷺ بناء على طلب المؤمنات بأخذ البيعة منهن أسوة بالرجال واستقلالاً دون تبعية أن يجيب طلبهن ويأخذ البيعة منهن .

وينطوى من هذا إقرار لشخصية المرأة وكيانها المستقل من دون تبعية الرجال وأسوة بالرجال وإقرار لأهليتها لذلك .

وفى نفس السورة الكريمة نجد توجيهاً من الله سبحانه وتعالى إلى رسوله ﷺ باختبار إيمان المهاجرات الراغبات فى دخول الإسلام وما يترتب على نجاحهن فى هذا الاختبار بعدم حل رجوعهن إلى أزواجهن الكفار فيقول سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لاَ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ الممتحنة /١٠ .

وفى استقلال شخصيتها واختيارها بين الإيمان والكفر قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنْ الْقَانِتِينَ﴾ التحريم ١٠ – ١٢ .

وكذلك يجد المتتبع للأحاديث النبوية أحاديث كثيرة يتمثل فيها أهلية المرأة للتدين من ذلك ما رواه البخارى عن النبى ﷺ قال : "***قالت النساء للنبى ﷺ غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك ، فواعدهن يوما لقيهن فوعظهن وأمرهن***" .

ومنه ما رواه البخارى عن النبى ﷺ : ***نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهم الحياء أن يتفقهن فى الدين*** .

ومنه ما رواه أحمد والترمذى وأبو داود عن النبى ﷺ قال : "***النساء شقائق الرجال***" .

ثانياً : أهليتها الاقتصادية :

ونقصد بها أهليتها للتصرفات الاقتصادية من حيث جواز التملك والتصرف بالهبة والوصية والبيع والإجارة وغير ذلك نظرا لاستوائها مع الرجل فى تحمل أمانة التكليف التى عبر الله سبحانه وتعالى عنها بقوله : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ الأحزاب /٧٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما يقتضيه لفظ الإنسان من شمول الذكر والأنثى على السواء ، وأيضاً قد جعل لها نصيباً من اكتسابها - كما بينا - كالرجل سواء بسواء ، ومن الطبيعى أن الاكتساب يترتب عليه التملك وبالتالى جواز التصرف وذلك من قوله تعالى : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ النساء /٣٢ .

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد صوراً كثيرة لأنواع التصرفات الاقتصادية الجائزة للمرأة :

١- قرر لها حق التملك بالميراث بعد أن كانت محرومة منه فى الجاهلية .. وتقرر ذلك بقوله تعالى : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ النساء /٧ .

٢- لم يكن لها فى الجاهلية حق فى المهر الذى يدفعه زوجها ، بل كان حقاً لأبيها أو وليها وكان ذلك منطق الوضع الذى لا يعترف لها بتملك أو ميراث ، فقرر الإسلام أن المهر حقها وحدها .. فقال تعالى : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ النساء /٤ .

ثم بين حقها فى التصرف فى مهرها بقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ النساء /٤ الذى يجوز للمرأة حقها فى هبتها من أى جنس كان عيناً أو ديناً قبضته أم لم تقبضه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والآية قاضية بأن هذا الحكم عام ، لم يفرق فيه بين البكر والثيب ، ولا بين من أقامت فى بيت زوجها ومن لم تقم .. وأكد الله سبحانه هذا الحكم بقوله تعالى : ﴿ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ البقرة / ٢٢٩ .

فمنع أن يأخذ منها شيئاً مما أعطاها إلا برضاها بالفدية ، فقد شرط رضا المرأة ولم يفرق فى ذلك بين البكر والثيب .

ويدل على ذلك أيضاً من السنة حديث زينب امرأة عبد الله بن مسعود أن ﷺ قال للنساء : ***"تصدقن ولو من حليكن"*** وحديث ابن عباس عن النبى ﷺ خرج يوم الفطر فصلى ثم خطب فأمرهن أن يتصدقن " رواه البخارى .

ويعلق الإمام **محمد عبده** على تقرير الإسلام لأهلية المرأة الاقتصادية بقوله : " هذه الدرجة التى رفع الله النساء إليها لم يرفعهن إليها دين سابق ولا شريعة من الشرائع ، بل لم تصل إليها أمة من الأمم قبل الإسلام ولا بعده " .

وهذه الأمم الأوروبية التى كان من تقدمها فى الحضارة أن بالغت فى احترام النساء وتكريمهن وعنيت بتربيتهن وتعليمهن الفنون والعلوم ، لا تزال دون هذه الدرجة التى رفع الإسلام النساء إليها ، ولا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف فى مالها بدون إذن زوجها وغير ذلك من الحقوق التى منحتها إياها الشريعة الإسلامية من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف ، وقد كان النساء فى أوروبا منذ خمسين سنة بمنزلة الأرقاء فى كل شىء ، كما كن فى عهد الجاهلية عند العرب بل أسوأ حالاً .

ثالثاً : أهليتها الاجتماعية :

خاطب الله تعالى النساء بالإيمان والمعرفة والأعمال الصالحة فى العبادات والمعاملات كما خاطب الرجال ، وجعل لهن عليهم مثل ما جعله لهم عليهن :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ البقرة /٢٢٨ وبايع النبى ﷺ المؤمنات ، كما بايع المؤمنين وأمرهن بتعلم الكتاب والحكمة كما أمرهم ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ الأحزاب /٣٤ ، وأجمعت الأمة على ما قضى به الكتاب والسنة من أنهن مجزيات على أعمالهن فى الدنيا والآخرة ، وأمرهن الله بالعلم والسؤال كما أمر الرجال بقوله :

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ الأنبياء /٧ وقال النبى ﷺ وطلب العلم فريضة على كل مسلم ويدخل فيه المسلمة ، وقرر لها أهليتها الاجتماعية ، وجعل من مقتضيات ذلك ما يأتى :

١- <u>حرية المناقشة والرأى :</u>

أعطى الإسلام بَنَيهِ بل الإنسانية جمعاء حق إبداء الرأى وعرضه بل والدفاع ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ البقرة /١١١ .

هذا الحق الذى وسع البشرية بأسرها ما كان ليضيق ، فيفرض على المرأة قيوداً فيما تقول ، وانطلاقا من هذه المعانى قامت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المرأة لا نقول بمباشرة حقها فى إظهار رأيها والدفاع عنه ، وإنما بأداء واجبها لأن إبداء الرأى وعرضه فريضة فى الإسلام لا يجوز التقصير فيها استناداً إلى قوله ﷺ " ***الدين النصيحة " ، قيل لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم*** ".

قامت المرأة المسلمة تعلن رأيها وتحاج عنه ، وتجادل دونه وتستدل عليه وتعلل له ... وذلك فى قوله تعالى :

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ المجادلة /١ . وهى مهمة فى دلالتها ومرماها حيث أنها أقرت للمرأة حق المجادلة عن حقها وإبائها ما أوقعه زوجها عليها من ظلم فى الظهار . وفى هذا الإقرار توجيه قرآنى عظيم الشأن مستمر المدى فى حق المرأة فى السعى للوصول إلى ما منحها القرآن نصاً وتلقيناً من حقوق ، والدفاع عنها ورفع ما يقع عليها من حرمان أو إعنات أو إهمال أو تضييق .

٢- جعل لها حق المشاركة فى الحياة الاجتماعية :

فيقول الله تعالى فى سورة التوبة : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ التوبة / ٧١ ـ ٧٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقررت الآيتان - أيضاً - واقع ما كان من الرجل والمرأة من إيمان وعمل صالح وتبادل فى الولاء الذى يعنى التضامن فى المواقف فى ما يلم المسلمين من أخطار ويكون لهما من مصالح عامة . وأن الإسلام يضع صلاح المجتمع أمانة بين يدى كل مؤمن مستنير وكل مؤمنة مستنيرة ، ويجعل كل منهما مسئولاً عن ذلك لا يعفى المرأة ولا يستثنى الرجل . أسوة بالرجل فى كيان الدولة والمجتمع .

وفى السنة المطهرة أمثلة كثيرة تخص المرأة سواء أكانت مشورة ، أم رأياً يبدينه ويجادلن عنه :

منها ما رواه البخارى عن المسور بن مخرمة ومروان قالا : " خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية فلما فرغ من قضية الكتاب (أى كتاب الصلح مع قريش) قال رسول الله ﷺ لأصحابه : "***قوموا فانحروا ثم احلقوا*** " قال : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات . فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقى من الناس ، فقالت أم سلمة : يا نبى الله أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة ففعل ذلك ونحر بدنة ودعا حالقاً فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا .. (زاد المعاد جـ٢ صـ٢٩٥) .

ومنها عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : " أتت امرأة النبى ﷺ فقالت : إن ابنى هذا كان بطنى له وعاء ، وثديى له سقاء وحجرى له حواء وإن أباه طلقنى ، وأراد أن ينزعه منى، فقال ﷺ : ***أنت أحق به ما لم تنكحى*** " .

ولا أدل على احترام حرية المرأة واحترام رأيها مما أعطاها الشرع من الحق فى أن تجير من ترى إجارته كالرجل تماماً .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فعن أم هانىء - رضى الله عنها - قالت : أجرت رجلين من أحمانى فقال النبى ﷺ : قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء " (زاد المعاد جـ٢ صـ ٦٤ ، ٢٤) .

ونختم هذه النماذج من السنة النبوية بهذا الموقف المجمل لمكانة المرأة فى هذا المجال :

وفدت أسماء بنت يزيد الأنصارية على النبى ﷺ وهو بين أصحابه فقالت :

بأبى أنت وأمى يا رسول الله . أنا وافدة النساء إليك وأعلم أنه ما من امرأة كانت فى شرق أو غرب سمعت بمخرجى هذا أو لم تسمع إلا وهى على مثل رأيى .. إن الله بعثك إلى الرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك . ونحن معشر النساء محصورات . مقصورات قواعيد بيوتكم ، وحاملات أولادكم . وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات . وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله ، والرجل منكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم أفما نشارككم فى هذا الخير يا رسول الله ؟ فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه وقال لهم : ***هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه المرأة ؟*** فقالوا : لا يا رسول الله ، فقال ﷺ : ***انصرفى يا أسماء واعلمى من وراءك من النساء : أن حسن تَبَعُّل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لمرافقته يعدل كل ما ذكرت*** ، فانصرفت أسماء وهى تهلل وتكبر استبشاراً .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والخلاصة :

أن الشريعة الإسلامية سوت بين المسلم والمسلمة فى التكاليف العامة من إيمان بالله ورسوله واليوم الآخر وصلاة وزكاة وحج وصيام وطاعة لله ورسوله ، وفى واجب التواصى بالخير والرحمة والصبر والتعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والتضامن وتبادل الآراء ، ثم فيما ينتج عن كل ذلك من تبعات وآثار وعقوبات وجزاء فى الدنيا والآخرة .

وتتجلى المكانة التى رفع الإسلام المرأة إليها فى ثلاثة مجالات:

١- **المجال الإنسانى** : فاعترف بإنسانيتها كاملة كالرجل .

٢- **المجال الاجتماعى** : فقد فتح أمامها مجال التعليم والمشاركة وإبداء الرأى والجدل فى سبيل الحصول على حقها .

٣- **المجال الحقوقى** : فقد أعطاها الأهلية المالية الكاملة فى جميع التصرفات حين تبلغ سن الرشد ولم يجعل لأحد عليها ولاية من أب أو زوج .

وهكذا تسجل الشريعة الإسلامية للمرأة منذ أربعة عشر قرنا من الحقوق والواجبات ما لم يسبق بل وما لم يلحق فى تمامه وشموله .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مشاركة المرأة المسلمة فى الحياة الاجتماعية

إن دواعى مشاركة المرأة فى الحياة الاجتماعية ولقائها الرجال لم ترد فى نصوص مستقلة فى الكتاب والسنة ، ولكن يمكن استخلاصها من مجموع النصوص والشواهد التى نصت على المشاركة واللقاء فى مجالات مختلفة ، ومناسبات شتى .

وهذه أهم الدواعى التى ظهرت لنا استخلاصاً من النصوص :

أولاً : تيسير الحياة :

إن الحياة النشطة الخيرة الطاهرة بحاجة إلى تيسير حتى لا تتوقف أو تتعطل ، وحتى تمضى دون حرج أو إعنات ، ويمضى معها المؤمنون والمؤمنات وهم فى راحة وسعة ، وعائشة رضى الله عنها تقول : ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه (رواه البخارى ومسلم) .

وقد كان النساء يأتين رسول الله ﷺ كلما عنَّ لهن سؤال ، أوبدت لهن حاجة ، وهذه بعض النماذج :

- عن بريدة رضي الله عنه قال : بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ أتته امرأة فقالت : إنى تصدقت على أمى بجارية وإنها ماتت قال : ***وجب أجرك وردها عليك الميراث*** " (رواه مسلم).
- عن ابن عباس رضي الله عنه أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبى ﷺ فقالت : إن أمى نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟ قال : ***نعم حجى عنها*** . (رواه البخارى) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان الرجال أحياناً هم الذين يشيرون على زوجاتهم بسؤال رسول الله ﷺ ومن ذلك ما ورد أن زينب امرأة عبد الله بن مسعود ﷺ كانت زينب تنفق على عبد الله وأيتام فى حجرها فقالت لعبد الله : سل رسول الله ﷺ أيجزى عنى أن أنفق عليك وعلى أيتام فى حجرى من الصدقة ؟ فقال : سلى أنت رسول الله ﷺ فانطلقت إلى النبى ﷺ فقالت : يا نبى الله ، إنك أمرت اليوم بالصدقة وكان عندى مال فأردت أن أتصدق به فزعم ابن مسعود هو وولده أحق من تصدقت به عليهم فقال النبى ﷺ ***صدق ابن مسعود . إنه هو وولده أحق من تصدقت به عليهم*** (رواه البخارى) .

ثانياً : تنمية شخصية المرأة :

إن مشاركة المرأة فى الحياة الاجتماعية ولقاءها الرجال يتيحان لها التعامل مع كثير من مجالات الخير . كما أنهما يكسبانها اهتمامات رفيعة وخبرات متنوعة : بينما الانعزال يحرم المرأة من هذه المجالات والخبرات ويهبط بمستوى اهتماماتها : وفى أحسن الأحوال يحرمها من المجال الأقوى ويحصرها فى المجال الأضعف .

ولا ينكر أحد أن المرأة إذا خالطت الصالحات زاد صلاحها ، وإذا خالطت العالمات زاد علمها . ولكن إذا كان أعلى درجات الصلاح والعلم والعمل في مجتمعاتنا يكاد يختص بها الرجال وحدهم فما السبيل أمام النساء لكى ينمو صلاحهن وعلمهن ووعيهن ؟

ليس هناك من سبيل غير قدر من المشاركة فى أرقى وأفضل مجتمعات الرجال . والمهم أن يتوافر فى تلك المجتمعات الأحاديث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرصينة والنشاط الجاد المثمر سواء فى مجال العبادة والخلق ، أو فى مجال العلم والفكر ، أو فى مجال العمل الاجتماعى والسياسى وقد كان الحد الأدنى من كل ذلك على عهد النبى ﷺ يحصل بقصد النساء المسجد . فإن المسجد النبوى كان مركز إشعاع عبادى وثقافى واجتماعى للرجل والمرأة على السواء : هذا عن الحد الأدنى . أما عن الحد الأعلى فكان متمثلاً فى أزواجه ﷺ حيث أكرمهن الله بصحبة الرسول ﷺ - مبلغ الوحى - ومصدر العلم . فكان ذلك مما ساعد على بلوغهن منزلة علمية رفيعة ، فكن معلمات يأخذ عنهن كبار الصحابة والتابعين الحديث والتفسير والفقه .

وينبغى لعلمائنا اليوم أن يقتضوا بسنة رسول الله ﷺ مع النساء حيث كان يتقدم ليعلمهن ولو يكل الأمر لغيره من الأصحاب .

وفى هذا المعنى ورد فى صحيح البخارى قول عطاء التابعى الكبير حين سئل : أترى حقاً على الإمام الآن أن يأتى النساء فيذكرهن حين يفرغ ؟

(أى كما كان يفعل رسول الله ﷺ حين يفرغ من خطبة العيد) قال : إن ذلك لحق عليهم وما لهم لا يفعلونه ؟ (رواه البخارى) .

كما ينبغى لنسائنا أن يقتدين بسنة نساء المؤمنين حيث كن يذهبن إلى رسول الله ﷺ يسألونه فى قضاياهن ولا يكتفين بسؤال آبائهن وأزواجهن . بل كن لا يكتفين بسؤال نسائه ﷺ : وفى هذا المعنى قال الحافظ **ابن حجر** تعليقاً على حديث سبيعة حين ذهبت تستفتى رسول الله ﷺ : هل يحل لها النكاح بعد أن وضعت حملها؟ ولم تكتف بفتوى أبى السنابل قال : " وفى الحديث ما كان فى سبيعة من الشهامة والفطنة حيث ترددت فيما أفتاها به أبو السنابل

حتى حملها ذلك على استيضاح الحكم من الشارع " فتح البارى جـ ١٠ صـ ٣٦٤ بل ينبغى لنسائنا أن يقتدين اليوم بنساء النبى ﷺ فيسعى فريق منهن لبلوغ أعلى درجات العلم حتى يأخذ عنهن الرجال كما يأخذ عنهن النساء .

وظهر بعد وفاته ﷺ فضل أمهات المؤمنين رضى الله عنهن فى حفظ السنة وتعليمها ونشرها بين الناس ، وبخاصة سننه ﷺ فى بنيه التى لم يطلع عليها فى الأغلب أحد سوى أمهات المؤمنين رضى الله عنهن . فكانت حجراتهن مدارس أسسها ﷺ لأمته لنشر العلم والسنة . وهذا من حكمة الله ورحمته بهذه الأمة . إذ جعل من أزواج صاحب الرسالة من تعيد سيرته المطهرة خمسين سنة ، تنشر تفاصيلها للناس كأن الوحى لم ينقطع وكأنهم من أنواره فى شمس لم يلم بها أفول . (عائشة والسياسة لسعيد الأفغانى صـ٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نماذج من مشاركة المرأة في العمل العام

يطول الحديث عن النماذج الفذة لمشاركة أمهات المؤمنين العامة وبصفة خاصة السيدة خديجة والسيدة عائشة والسيدة أم سلمة رضى الله عنهن . فقد شملت هذه المشاركة العامة جوانب الجهاد واحتضان الدعوة . وشملت الإفتاء ورواية الحديث . وشملت المشورة فى أخطر وأدق أمور المسلمين : وأثبتت أمهات المؤمنين أنهن تلميذات نجيبات فى مدرسة النبوة . كما يطول الحديث عن مشاركة صاحبات وتابعيات متفردات بأدوار متميزة فى الدعوة . ومن هؤلاء أسماء بنت أبى بكر وصفية بنت عبد المطلب والخنساء وغيرهن كثيرات .

ومن يتتبع كتب السيرة والسنة والإعلام والتاريخ الإسلامى يجد نماذج باهرة لنساء وصلن إلى درجة عالية من النضج الفكرى والثقافى فكانت لهن مشاركتهن المتميزة ونحن ننتقى هنا بعض هذه النماذج وهى غيض من فيض وقليل من كثير .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١) الشفاء بنت عبد الله القرشية :

احتلت الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس بنت خلف القرشية مكانة مرموقة بين نساء مكة بسبب امتلاكها لصفات كانت نادرة عند المرأة فى ذلك العهد . فهل تمثل المرأة المثقفة المتعلمة المتميزة. فقد أسلمت مبكرة . وكانت من الأوائل وبايعت النبى ﷺ فى وقت كانت فيه البيعة مصدر شقاء وعذاب واضطهاد .

كانت تأتى إلى الرسول ﷺ لتسأله وتتناقش معه حول أمور كثيرة .

وكان النبى ﷺ يدهش لسعة معارفها وعمق اهتمامها ، وفطنتها وإدراكها للأمور وقد اكتشف النبى ﷺ فى شخصية الشفاء وعقلها ونضجها ورزانتها نموذجاً للمرأة المسلمة التى يمكنها أن تلعب دوراً بارزاً فى تطوير الحركة النسائية فى المجتمع الإسلامى .

وكان احتكاك الشفاء بالنبى ﷺ باستمرار لطرح الأسئلة عليه والحصول على الأجوبة والاستفسارات من أكبر العوامل التى حولت الشفاء فيها بعد إلى راوية أمينة وصادقة للحديث النبوى. فقد اختزنت ذاكرتها الكثير من كلام النبى ﷺ وعادت تقدمه للناس بعقل ناضج وأسلوب واضح . وإلى جانب دورها فى الحفظ والرواية فقد لعبت دوراً فى مجال التعليم وأكبر دليل على بروز أهميتها فى هذا المجال أن النبى ﷺ كان يأتى إلى بيتها ويقيل عندها .

وقد طاب منها أن تعلم زوجته حفصة . فقد قال لها مرة : " علمى حفصة رقية النمل كما علمتها الكتابة " أى إنها كانت طبيبة ومعلمة للقراءة والكتابة ، وقد علمت الكثيرين وهذا الدور

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التربوى والتعليمى حظى بمكانة خاصة فى صدر الإسلام ، مما دفع بالنبى ﷺ تقديراً منه للشفاء ولدورها الاجتماعى والعلمى المطلوب بإلحاح فى هذا المجتمع أن أقطعها رسول الله ﷺ داراً عند الكحالين لتقيم بها مع إبنها . وحين يتدخل النبى المشرع ليمنحها بيتاً فهذا اعتراف على أعلى المستويات بقيمة وأهمية الشفاء . وكان لهذا الدور البارز الذى ظلت تلعبه الشفاء فى المجتمع الإسلامى أهميته فى رفع مكانها ضمن السلم الاجتماعى . وقد عمرت الشفاء مدة طويلة حتى أدركت خلافة عمر بن الخطاب ﷺ وقد ذكر أن عمر بن الخطاب كان يقدمها فى الرأى ويرضاها ويفضلها ويقبل نصائحها ، ويقدم لها كل ما تحتاجه من معونة وبر .

روت الشفاء الحديث عن النبى ﷺ وعن عمر بن الخطاب .

(٢) أسماء بنت عميس :

تعتبر أسماء بنت عميس بن سعد الخثعمية من أسبق النساء دخولاً فى الإسلام . فقد أسلمت قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم بمكة . وبايعته وهاجرت مع زوجها جعفر بن أبى طالب إلى أرض الحبشة وكانت من أوائل المهاجرات : وقد ورد عن أبى موسى ﷺ قال :

وهى (أى أسماء) ممن قدم معنا (إلى المدينة) وقد كانت هاجرت إلى الحبشة فيما هاجر (رواه البخارى ومسلم) .

وعن أبى موسى ﷺ أيضاً قال : دخلت أسماء بنت عميس على حفصة زوجة النبى ﷺ زائرة . فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها فقال عمر حين رأى أسماء : من هذه ؟ قالت : أسماء بنت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عميس . قال : عمر الحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟ قالت أسماء : نعم . قال سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم . فلما جاء النبى ﷺ قالت : " يا نبى الله إن عمر قال كذا وكذا . قال : فما قلت له ؟ قالت : قلت له كذا وكذا . قال : ليس بأحق بى منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان . قالت : فلقد رأيت أبو موسى وأصحاب السفينة يأتوننى أرسالا (أفواجا ناسا بعد ناس) يسألوننى عن هذا الحديث . (رواه البخارى ومسلم) .

(٣) أسماء بنت أبى بكر :

لم تشهد امرأة فى الإسلام ، ما شاهدته أسماء بنت أبى بكر : فهى قد ولدت قبل الهجرة بسبعة وعشرين عاما . وامتد بها العمر لتموت بعد الهجرة بثلاثة وسبعين عاما أى إنها عاشت قرنا كاملا من الزمن . امتد منذ العصر الجاهلى إلى العصر الأموى ، مرورا بكل الأحداث التى عاشها الإسلام منذ لحظته الأولى حتى وفاة النبى ﷺ وتولى الخلفاء الراشدين واحدا إثر واحد ، ثم عانت من تفاصيل انتقال الخلافة إلى البيت الأموى .

عن عائشة رضى الله عنها زوجة النبى ﷺ قالت : لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفى النهار بكرة وعشية .. (رواه البخارى) .

كانت أسماء تعمل خارج البيت - لمصلحة الأسرة - وتلقى الرجال أحيانا . وعنها (أسما بنت أبى بكر رضى الله عنها) قالت: كنت أنقل النوى من أرض الزبير التى أقطعه رسول الله ﷺ على رأسى وهى منى على ثلثى فرسخ . فجئت يوما والنوى على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رأسى فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار . فدعانى ليحملنى خلفه ، فاستحييت أن أسير مع الرجال (رواه البخارى ومسلم) .

وكانت تحرص على استفتاء رسول الله ﷺ كلما عرض أمر .. فعنها قالت : قلت يا رسول الله : مالى مال إلا ما أدخل على الزبير أفأتصدق ؟ قال : تصدقى ولا توهى فيوعى عليك (رواه البخارى ومسلم) .

(٤) صفية بنت حُيَىّ :

كان زواج النبى ﷺ من صفية بنت حيى نموذجاً للتسامح مع غير المسلمين أسرت فى غزوة خيبر . كان هجوم المسلمين على خيبر هجوماً شاملاً فقد فتحت حصونها حصناً حصناً وقتل رجالها وسبيت نساؤها ، وفيهن عقيلة بنى النضير صفية بنت حُيَىّ بن أخطب وأمها برة بنت السموأل . وكانت صفية رغم صغر سنها قد تزوجت مرتين قبل الرسول ﷺ . وحين سقط الحصن كانت صفية بين سبايا اليهود وقدمت وابنة عمها للنبى ﷺ فاختارها النبى ﷺ وترك ابنة عمها .

وفى حديث عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ لما أخذ صفية بنت حيى قال لها (هل لكى فى ؟ قالت : يا رسول الله . قد كنت أتمنى ذلك فى الشرك ، فكيف إذا أمكننى الله منه فى الإسلام ؟) .

ويذكر المسلمون عن مكر اليهود ودهائهم وخبث نواياهم قصة زينب بنت الحارث زوجة سلام بن مشكم التى قدمت إلى النبى طعاماً مسموماً لتختبر نبوته .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفى الطريق . دخل النبى على صفية . وخارج قبة الرسول ﷺ ظل رجل من الأنصار ساهراً طيلة الليل . وحين أحس عليه النبى فى الصباح سأله : ما لك يا أبى أيوب . فأجاب : يا رسول الله ، خفت عليك من هذه المرأة ، قد قتلت أباها وزوجها وقومها ، فخفتها عليك .

لكن صفية كانت قد أسلمت وحسن إسلامها وغابت عنها آثار الحزن والألم . وقد ذكرت صفية للنبى ﷺ فقالت أنها فى ليلة عرسها بكنانة بنى الربيع زوجها الثانى رأت فى المنام أن قمراً وقع فى حجرها . فلما صحت من نومها عرضت رؤياها على كنانة . فقال غاضباً : " ما هذا إلا إنك تمنين ملك الحجاز محمداً " ولطم وجهها لطمة بقى أثر منها فيه .

وقد شاركت فى الأحداث السياسية التى سادت فى عصرها وكان سبيلها التوفيق بين المسلمين . وحين حوصر منزل عثمان بن عفان . كانت صفية تنقل إليه الطعام والماء .

روت عن النبى ﷺ عشرة أحاديث . أخرج لها منها فى الصحيحين حديث واحد متفق عليه . وتوفيت صفية أم المؤمنين فى حوالى سنة ٥٠ للهجرة فى عهد معاوية بن أبى سفيان . ودفنت فى البقيع إلى جانب زوجات الرسول ﷺ .

(٥) فاطمة الزهراء :

فاطمة الزهراء هى أصغر بنات النبى ﷺ وأكثرهن حزناً وشدة وحزماً نضجت بسرعة ، وتلقت الأحداث الكبرى بصورة متوالية ، فتركت فى نفسها أثراً عميقاً ظل يصاحبها طيلة حياتها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يوم بعث محمد ﷺ نبياً لهذه الأمة ، كان عمرها لا يتجاوز الخامسة وظلت خلف أبيها خطوة بخطوة حتى وصلت إلى لمظة الألم الكبير ، يوم ودعت أباها ﷺ فى رحلة لا عودة بعدها .

كانت فاطمة تتألم لما يلقاه أبوها من عنت قريش ، فهى بحكم سنها كانت تتبعه دائماً أينما ذهب ، فهى ترى وتسمع كل شىء ، لكن مداركها الصغيرة لم تكن تقوى على تفسير ما يحدث .

التحقت بأبيها وأمها وأختها أم كلثوم ، إلى شق أبى طالب وعانت مثلهم من الحصار والجوع طيلة ثلاث سنوات وحين عادوا إلى منزلهم بعد فك الحصار بدت فاطمة سعيدة فرحة ، وهى تعود إلى مدرج طفولتها الأولى .

شهدت جميع الأحداث التى مر بها أبوها ﷺ . كما شهدت موت أمها العزيزة جداً على قلبها وموت أختها واحدة بعد واحدة . حتى توجت ألمها وحزنها القاتل يوم ركعت بين يدى أبيها ﷺ وهو يلفظ أنفاسه الطاهرة الأخيرة .

فى يثرب بلغت فاطمة الثامنة عشرة من عمرها ولم تتزوج بعد ، فتقدم أقرب الناس إلى النبى ﷺ أبو بكر الصديق لخطبتها ، فرده النبى ﷺ برفق ، وعندما تقدم إليها أيضاً عمر بن الخطاب رده الرسول ﷺ برفق أيضاً وزوجها علياً بن أبى طالب ، أشجع الرجال وأذكاهم وأكثرهم عزيمة ، ابن عم الرسول عليه السلام بالقرابة ، وأخاه فى الإسلام ، وأول من آمن بالنبى ﷺ وأصغر مجاهد فى الإسلام ، وهو الذى وصفه الرسول ﷺ لابنته فاطمة بقوله : (إنه سيد فى الدنيا ، وإنه فى الآخرة لمن الصالحين ، وإنه أكثر الصحابة علماً ، وأفضلهم حلماً ، وأولهم إسلاماً) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد كان على لفاطمة دائما بمثابة أخ وصديق ، فكانت تأنس إليه ، وتعجب بشجاعته وشهامته ورجولته ، وكانت تحس دائما بقربه منها ، وتعلقه بها دون أن يبوح بكلمة واحدة ، فقد كان عليا كرم الله وجهه فقير الحال ، وقد شغله الجهاد عن ملاحقة أمور التجارة كما فعل الشباب من سنه .

فى السنتين الثالثة والرابعة للهجرة ، ولدت فاطمة على التوالى فأنجبت الحسن والحسين ، وكان عمر الرسول عليه السلام ، سبعة وخمسين عاما ، وقد انشرح صدره لمقدم هذين الحفيدين بعد مرور أكثر من سبعة عشر عاما على وفاة خديجة ، وخلال كل هذا الزمان كان النبى ﷺ قد تزوج خمس زيجات ، ولم تتمكن أية واحدة منهن أن تنجب له ولدا .

لهذا اعتبر النبى ﷺ الحسن والحسين من أبنائه ، وقد ذكر أنس بن مالك : أن النبى ﷺ كان يقول لفاطمة : " أدعى لى ابنى " ... فإذا ما جاءا إليه شمهما وضمهما .

كما ذكر أسامة بن زيد عن النبى ﷺ قوله (هذان ابناي ، ابنا ابنتي ، اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما) .

ولم تكد السنة الخامسة للهجرة تمضى حتى أنجبت فاطمة بنتا سميت زينب على اسم خالتها الراحلة ، وفى السنة السابعة ، أنجبت بنتا سميت أم كلثوم .

وصل المسلمون إلى ذروة قوتهم ، وبدأت الجيوش تتجمع ، فقد آن الأوان لفتح مكة ، وقد خرجت فاطمة مع أبيها وزوجها ، وشهدت يوم النصر الكبير .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبعد شهرين عادت فاطمة مع أبيها وزوجها مرة أخرى إلى المدينة ، وسارت الأيام متلاحقة ، وهى ترعى أولادها الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم ، وكان على بن أبى طالب قد استقامت أحواله ، وهو سعيد بذريته التى ستخلف بيت النبوة .

وذات يوم جاءت فاطمة تزور أباها ﷺ فرحب بها وقبلها وأجلسها إلى جانبه ، وأسر لها ، أنه يحسب أن أجله قد حان ، وحين بكت ، هون عليها وتابع قائلاً : (وإنك أول أهل بيتى لحوقا بى) .

وبعد أيام . ذكر أن الرسول ﷺ . يشكو اعتلالاً فى صحته . وقد تلقى أغلب الناس النبأ على نحو عرضى ، إذ سرعان ما سوف يبرأ النبى ﷺ ويتعافى . لكن هذا الخبر وقع على فاطمة كالصاعقة ، وتذكرت ما قاله لها أبوها ، فأسرعت إليه وهى تشعر بالنار تشتعل فى قلبها ، والتحقت بخدمته فى منزل عائشة . لكن الأمر لم يطل كثيراً ، حتى فاضت روح النبى ﷺ وعادت إلى بارئها ، وأصبحت فاطمة لأول مرة يتيمة الأبوين .

وبعد ستة أشهر فقط على وفاة النبى ﷺ توفيت فاطمة ، فكانت كما قال ﷺ أول أهل بيته لحوقا به ، وبموتها التأم شمل العائلة الكريمة فى جنان الخلد .

(٦) نسيبة بنت كعب الأنصارية "أم عمارة" :

تحتل أم عمارة وهى نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف الأنصارية مكانة مرموقة بين نساء المسلمين فهى صحابية جليلة ، ومجاهدة كبيرة ذات صلاح ودين ونسك واجتهاد واعتماد على النفس وهى من أوائل المسلمات ، فقد حضرت بيعة العقبة ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبايعت الرسول وهو فى أكثر ظـروف محنتـه شـدة وحيـن عـادت إلى المدينة بعد المبايعة بدأت بالدعوة للإسلام فى صفوف النساء .

كانت تشارك فى الغزوات والجهاد . فتسقى الجرحى ، وتضمـد الجراح ، وتشارك فى القتال حين يلزم الأمر . وقد شهدت معركـة أحد ، إذ كانت من بين العشرة الذين تولوا حماية الرسول ﷺ .

ومنـذ أن أعـد المسـلمون عدتـهم لخـوض غمـار معركـة أحـد استأذنت أم عمارة الرسول ﷺ فى الخروج إلى القتـال مـع زوجـها وابنيـها ، فـأذن لـها أن تخـرج لتأسـو الجرحـى ، وتسـقى الظمـأى وتحـرس المتـاع وتثير المشـاعر ، وحيـن اشـتد وطيـس المعركـة تراجـع جيـش أبـى سـفيان أمـام ضربـات المسـلمين . فظـن فريـق المسلمين الذين أمرهم النبى ﷺ بالبقاء على الجبـل أن المعركـة قـد انتهت وآن أوان جنى الغنائم ، ومـا أن غـادروا أمكنتـهم حتـى كـر عليهم جيش قريش من وراء الجبل ، فاستؤنف القتـال ، فقتـل مـن قتل واستشـهد مـن استشـهد ولـم يبـق حـول النبـى ﷺ إلا نفـر قليـل وكانت أم عمارة وزوجها وابناها فى مقدمة هؤلاء الثابتين .

ووسط هذه المعركة ، تشجع القرشـيون ، ووطـدوا العـزم علـى قتل الرسول ﷺ واستئصال الإسلام بقتله ، وهنا أسرعت أم عمـارة فانتضت سيفها واحتملت قوسها ، وذهبت تصول وتجول بين يـدى رسول الله ، تنزع عن القوس ، وتضـرب بالسيف ، وكـان حولـها على وأبـو بكـر وعمـر وسـعد وطلحـة والزبـير والعبـاس وولداهـا وزوجها فكانت من أظهر القـوم أثـرا ، وأعظمـهم موقفـا وكـان قـد أقبل ابن قميئة وهو يصيح دلونى على محمد فـلا نجـوت إن نجـا . وأقبل يود أن يقتل سيد العرب ، فـاعترض لـه مصعـب بـن عمـير وبعض الناس ومنهم أم عمارة التى وجـه إليـها ضربـة ، ووجـهت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إليه عدة ضربات لم تؤثر فيه ، لأنه كان عليه درعان ، وظلت تتلقى عن النبى الضربات وتستقبل الطعنات بصدرها وكتفيها دون أن تفارق مكانها ، وقد قال الرسول ﷺ (ما التفت يميناً وشمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دونى) . وفى وسط القتال انتبه الرسول ﷺ إلى ابنها يقاتل والدم ينزف من عضده اليسرى على أثر ضربة عنيفة أصابته ، فقال له : اعصب جرحك ، فهرعت أم عمارة على الفور إلى ابنها وانتزعت عصائب أعدتها للجراح فربطت جرحه وضمدته ثم قالت :

انهض يا بنى فضارب القوم وجاهد فى سبيل الله .

وبينما هى فى غمرة القتال صاح بها الرسول ﷺ (هذا ضارب ابنك يا أم عمارة) فاعترضت له وضربت ساقه فبرك على الأرض مقتولاً ، فابتسم النبى ﷺ حتى بانت نواجذه وقال :

(استقدت يا أم عمارة ، الحمد لله الذى أظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك ثأرك بعينيك) وتتابع القتال ، وأم عمارة تناضل وتقاتل بكل إيمان وشجاعة فصاح عليها النبى ﷺ (ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة) .

وفى الصباح التالى . دعا الرسول ﷺ لاستئناف القتال وخرج مع أصحابه إلى حمراء الأسد ، فهمت أم عمارة تشد عليها ثيابها لمرافقته ، لكنها لم تقو على النهوض من شدة ما أصابها فى القتال فمكثت مع أهلها يضمدون جرحها حتى صباح اليوم التالى .

حين عاد الرسول ﷺ إلى المدينة كان أول ما صنعه أن أرسل عبد الله بن كعب المازنى يسأل عنها ، فذهب وعاد يخبره بسلامتها ، فسر النبى ﷺ بذلك وأخذ يعودها فى مرضها ويأكل من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خبز شعيرها ، وقد عانت أم عمارة من ضربة ابن قمينة على عاتقها سنة كاملة .

شهدت أم عمارة بيعة الرضوان ثم شهدت قتال مسيلمة الكذاب فى اليمامة .

وتذكر إحدى الروايات أن ابنها حبيب قد سار فى رفقة خالد بن الوليد لقتال مسيلمة .

وحين وصلها خبر مقتله أقسمت أن تقاتل مسيلمة بنفسها حتى يقتل أو تقتل هى فذهبت إلى اليمامة واشتركت فى الموقعة التى قتل فيها مسيلمة وفيها قطعت يدها .

كان لأم عمارة الفضل الكبير فى تقديم نموذج المرأة المسلمة المجاهدة التى احتلت مكانها إلى جانب الرجل تماماً فى ميدان القتال .

روى عكرمة عن أم عمارة أنها أتت رسول الله ﷺ فقالت : ما أرى كل شىء إلا للرجال . وما أرى النساء يذكرن . فنزلت آية ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ .

روت أم عمارة الحديث عن النبى ﷺ وروى عنها ابن ابنها عباد بن تميم بن زيد والحارث بن عبد الله بن كعب وعكرمة مولى ابن العباس وغيرهم وروى لها الترمذى والنسائى وابن ماجه رضى الله عنها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٧) حفصة بنت سيرين :

تابعية أنصارية من البصرة .. اشتهرت بالعبادة والفقه وقراءة القرآن والحديث . اسم ابنها (الهذيل) وبه كانت تكنى ، وهى أخت التابعى الجليل بن سيرين ، قرأت القرآن الكريم وهى ابنة اثنتى عشرة سنة ، وكان ابن سيرين إذا استشكل عليه شىء من القرآن قال : اذهبوا فاسألوا حفصة كيف تقرأ ؟ وقد ذكر ابن الجوزى عبادتها قال :

عن مهدى بن ميمون أن حفصة مكثت فى مصلاها ثلاثين سنة لا تخرج إلا لحاجة أو مقابلة ... وكانت تقرأ نصف القرآن فى كل ليلة ، وكانت تصوم العيدين وأيام التشريق . وكان لها كفن إذا حجت أو أحرمت لعمرة لبسته ، وفى العشر الأواخر من رمضان تلبسه أيضاً ، وكانت تنصح الشباب وتقول : يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب .. فإنى رأيت العمل فى الشباب .

روت حفصة عن النبى ﷺ وعنها عن أم عطية قالت : بايعنا النبى ﷺ وأخذ علينا فيما أخذ ألا ننوح . فقالت امرأة من الأنصار إن آل فلان أسعدونى فى الجاهلية وفيهم مأتم . فلا أبايعك حتى أسعدهم كما أسعدونى .

فوافقها رسول الله ﷺ فذهبت فأسعدتهم ، ثم رجعت فبايعت رسول الله .. قالت أم عطية : فما وفت منا غير أم سليم بنت ملحان .

وعنها عن أم عطية قالت : غزوت مع رسول الله ﷺ سبع

غزوات ، أداوى المرضى ، وأقوم على جراحاتهم فاخلفهم فى رحالهم أصنع لهم الطعام .

(٨) سكينة بنت الحسين :

هى سكينة بنت الحسين بن على بن أبى طالب . وأمها الرباب بنت امرىء القيس بن عدى بن أوس وهى من أبرز نساء العرب . ألمت بها المصائب وأحاطتها الأحزان بغلالة موشحة بالدم والسواد فاعتلت أحزانها وأطلقت سلطانها فى ميادين العلم والفقه والمعرفة والشعر والنقد والأدب . وصفت بالكرم والجود وخفة الروح ، وسمو الوعى ، والشغف بسماع الشعر والغناء .

و كانت دمثة الخلق ذات إيمان راسخ وشجاعة منقطعة النظير ، وكانت دائماً مضرب الأمثال فى الوفاء والمروءة والشهامة وعفة النفس وثبات اللسان وليس غريباً بعد هذا أن تكوى مهوى الأفئدة ، وملاذ الناس حتى تغنى الشعراء .

ولدت فى حوالى عام ٤٧هـ وسميت آمنة على اسم جدتها آمنة بنت وهب ، لكن أمها الرباب لقبتها سكينة واشتهرت بهذا الاسم وهى منذ طفولتها الباكرة محاطة بجو يسيطر عليه الحزن والمأساة فقد قتل جدها على بن أبى طالب قبل ولادتها بسبعة أعوام ، ولم يلبث أن مات عمها مسموماً بعد ولادتها بثلاثة أعوام.

ولم يمض زمن طويل وهى لم تبلغ من العمر أربعة عشر ربيعاً حتى خرجت مع قافلة أبيها الحسين بن على من مكة وبصحبة جميع أهلها وكان لها وهى فى أول شبابها أن تشهد وقعة كربلاء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التى صبغت حياتها بالدم والسواد ، فأدمت قلبها وجرحت كبرياءها ودفعتها فى ركب السبايا .

وحين كان الحسين جالساً فى كربلاء ينتظر التحام المعركة ، كانت سكينة ملتصقة به وعيونها شاخصة إليه ، ودموعها لا ترقا ، فنظر إليها نظرة حنان وحب ، وهى التى كانت من أحب أولاده إليه وقال لها : سيطول بعدى عنك يا سكينة ، فهلا ادخرت البكاء لغد وما غد ببعيد .

وجاء الغد .. والتحم الرجال . وشهدت ذبح أهلها وأخوتها ومقتل أبيها الإمام الحسين ، وسيقت مع السبايا فى موكب تعس لم تشهد الدنيا مثيلاً له من قبل ولا من بعد .

وبعد أن سيق الموكب إلى يزيد بن معاوية فى دمشق . وأقيمت المناحة ثلاثة أيام بلياليها أعيدت السبايا إلى المدينة من جديد ، وتذكر إحدى الروايات أن سكينة رافقت عمتها زينب حيث أبعدت إلى مصر وعادت إلى المدينة بعد وفاتها لتستقر فيها ، ولم يبق لها من أهلها سوى أختها فاطمة وأخيها على زين العابدين ، ولم يمض عام آخر حتى توفيت أمها الرباب بنت امرىء القيس .

وكما شهدت موت أبيها من قبل شهدت قتل زوجها مصعب بن الزبير ، وقد وصل خبر مقتل مصعب إلى سكينة فحز الألم فى نفسها وأحست وكأن عاصفة هوجاء قد هبت فى أعماقها فحركت معها كل غبار الحزن العميق المتراكم داخل روحها منذ زمن بعيد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحين جاء أهل الكوفة يعزونها بمقتل مصعب أحست بجبال من النقمة تنهار وتتساقط من لسانها فوق رؤوسهم فقالت والأسى يقطر منها : " الله يعلم أنى أبغضكم ! قتلتم جدى علياً وقتلتم أبى الحسن وزوجى مصعب ، فبأى وجه تلقوننى ؟ أيتمتمونى صغيرة وأرملتمونى كبيرة " وخرجت من أرض العراق لا تلوى على شيء وهى تحمل تعاسة ويأساً وشقاءً يفوق الاحتمال .

عرفت سكينة فى مجال الفن والأدب ، وكانت إلى جانب جمالها ونسبها وأناقتها وذكاء أنوثتها وجاذبيتها وسحرها ذوق فنى أصيل وتعمق فى أسرار الشعر والبيان وهذا ما أضاف إلى جلالها ووقارها .

وكان لها مجلس أدب خاص ، يجتمع فيه كبار الشعراء فى عصرها ، فتنقد وتحكم وتميز فى أوزان الشعراء ، وكانت تحفظ الشعر ولها سيطرة أدبية لا تنازع حولها .

امتد عمر سكينة حتى تجاوزت الثمانين عاماً وهناك اختلاف فى تاريخ وفاتها ، ويرجح أنها توفيت فى عام ١١٧هـ .

(٩) السيدة نفيسة :

كانت سيدة صالحة عابدة طاهرة تشفى المرضى ، وقد ظهر أمرها فى مصر خلال العهد الأموى ولها مسجد لا يزال موجوداً حتى الآن فى القاهرة .

وتنتسب السيدة نفيسة إلى بيت آل النبوة ، وهى من سلالة سبط الرسول الإمام الحسن بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهناك اختلاف فى المصادر حول نسبها وعلاقاتها بالخلفاء الأمويين .

فقد جاء فى عمدة الطالب أنها ابنه زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب وأنها بنت الحسن بن زيد ، وأنها كانت متزوجة من إسحاق بن جعفر الصادق .

ولدت فى عام ١٤٥هـ بمكة المكرمة ونشأت فى المدينة المنورة ، وقد اتصفت بالزهد والورع والتقشف والتقوى ، أحبت تلاوة القرآن ودرس التفسير وظلت صائمة طيلة عمرها ، ولم تفطر إلا فى العيدين ، وقد طلبت منها عمتها زينب أن ترفق بنفسها فأجابتها " يا عمتاه " من استقام مع الله كان الكون بيده وفى طاعته .

وقد داومت على زيارة الحرم النبوى ، واشتغلت بالعبادة والصوم ، وقيل إنها حجت إلى بيت الله ثلاثين حجة أدت معظمها سيرا على الأقدام .

تزوجت نفيسة من إسحاق المؤتمن وأنجبت منه القاسم وأم كلثوم ، وقد عينه الخليفة المنصور العباسى واليا على المدينة ، وكان والدها يشغل نفس المنصب من قبل .

وفى عام ١٩٣هـ وصلت السيدة نفيسة إلى مصر بصحبة والدها وزوجها وقد ذاع صيتها وأشتهر أمرها ، فقد كانت من النساء الصالحات وأصحاب الكرامات ، وما حلت فى مكان إلا حلت فيه البركة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان الإمام الشافعى يرسل إليها بالمرضى من أصحابه ، فيعودون إليه وقد شفوا تماماً من أمراضهم ، وحين مرض الإمام الشافعى أرسل إليها يطلب الدعاء له بالشفاء ، وحين قيل لها ذلك ، ذكرت أنه سيقابل وجه ربه الكريم وقد مات بعد أيام ، بعد أن أوصى أن تصلى عليه السيدة نفيسة .

وحين ازداد إقبال الناس عليها ، وأصبح من المتعذر لها ممارسة العبادة وتدبير شئون حياتها قررت العودة إلى المدينة فتوسل الناس إليها وتدخل الوالى فخصص لها بيتاً فى درب السباع ونظمت زيارة الناس إليها فى يومى السبت والأربعاء من كل أسبوع .

حفظت السيدة نفيسة القرآن الكريم وتفسيره ، وسمع عليها الحديث ، وكانت كثيرة البكاء تديم قيام الليل وصيام النهار ، وينقل عنها أنها كانت لا تأكل إلا فى كل ثلاث ليال أكلة واحدة .

(١٠) زبيدة بنت جعفر :

هى زبيدة بنت جعفر زوجة هارون الرشيد وأم الخليفة الأمين وهى نموذج نسائى فريد ورمز للمرأة فى العصر العباسى ، وقد تم زواجها من هارون الرشيد فى عهد والده المهدى وبإشراف أمه خيزران سنة ١٦٥هـ وكانت سيدة ذات عقل ورأى وفصاحة وبلاغة وكانت تنظم الشعر وتناظر الرجال فى شتى نواحى الثقافة والفن ، إلى جانب جمالها وسمو طلعتها واتزانها وقد أحبها الرشيد حبا جما ومنحها مكانة رفيعة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان لها نفوذ كبير فى شئون الدولة ، لكن تأثيرها البارز كان الإكثار من عمل الخير فى حياتها الخاصة ، وفى تأثيرها العام وقد تركت وراءها آثاراً جليلة فى مجال الخدمات والعمران .

فحين حجت إلى بيت الله سنة ١٨٦هـ وأدركت ما يعانيه أهل مكة من المشاق فى الحصول على ماء الشرب دعت خازن أموالها وأمرته أن يدعو المهندسين والعمال من أنحاء البلاد وقالت له : اعمل ولو كلفت ضربة الفأس ديناراً ، فوفد على مكة أكفاء المهندسين والعمال ووصلوا بين منابع الماء فى الجبال ، واعتمدوا بشكل خاص على عين حنين فأسالوا الماء تحت الصخور حتى وصل إلى مكة ليشرب منه الناس والحجاج ، ولا يزال هذا الماء يجرى إلى مكة حتى اليوم ، وجهزت زبيدة طريق بغداد مكة بكل ما يلزم المسافرين من برك وآبار ومنازل ومصانع ، وقد أنشأت العديد من البرك والآبار على طريق الحجاج .

كان لها أثر كبير فى تطوير أزياء النساء فى العصر العباسى ، كما كان لها باع فى كتابة الشعر وتذوقه واستحسانه ، وقد مدحها عشرات الشعراء ولها مع بعضهم مواقف معروفة .

وتميز دورها السياسى فى تولية ابنها الأمين ، وحين قتل ابنها محمد الأمين دخل عليها أحد خدمها وقال : ما يجلسك وقد قُتل أمير المؤمنين محمد ؟

فقالت : ويلك وما أصنع ؟

فقال : تخرجين فتطلبين بثأره كما خرجت عائشة تطلب دم عثمان .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقالت : اخساً لا أم لك ، ما للنساء وطلب الثأر ومنازلة الأبطال.

ثم قامت فلبست السواد ، وحين دخل المأمون إلى بغداد استقبلته وقالت له : أهنيك بخلافة قد هنأت نفسى بها عنك قبل أن أراك ، ولئن كنت قد فقدت ابناً خليفة لقد عوضت ابناً خليفة لم ألده ، وما خسر من اعتاض مثلك ، ولا ثكلت أم ملأت يدها منك ، وأنا أسأل الله أجراً على ما أخذ وإمتاعاً بما عوض .

وظلت زبيدة معززة مكرمة فى ظل المأمون ، كما كانت فى عهد أبيه وأكثر .

وقد استمالت زبيدة إليها الشعراء والأطباء وأرباب التقوى والصلاح والعلماء وكان لها مائة جارية يحفظن القرآن ، وكان يسمع فى قصرها دوى كدوى النحل من قراءة القرآن ، وتوفيت زبيدة بنت جعفر فى بغداد سنة ٢١٦هـ .

(١١) صبيحة "ملكة قرطبة":

هى صبيحة أو صبح كما يحلو للخليفة الحكم المستنصر أن يدعوها ، وهى سيدة نابهة الذكر قوية الشخصية ومن ربات النفوذ والسلطان والإدارة والسياسة ، وقد عم سلطانها على بلاد الأندلس فترة طويلة من الزمن وكان لها تأثير بالغ فى مجرى الأحداث السياسية ، كما ارتبط اسمها بالنهضة العملية والاقتصادية فى عهد زوجها الخليفة الحكم المستنصر بالله ، وعهد وصايتها على ابنها الخليفة هشام بن الحكم .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد اتصف الخليفة الحكم بأنه من رجال الفقه والعلم وقد حول قرطبة إلى ملتقى للعلماء والأدباء والفقهاء الذين زحفوا نحوه من سائر أقطار العالم الإسلامى حتى حفت جوامعها بالعلماء والحكماء ورجال الدين وطلاب العلم والتحصيل والدراسة ، وكان من أبرز طلاب العلم فى قرطبة محمد بن أبى عامر الذى لعب فيما بعد دوراً بارزاً .

وقد هيأ انصراف الخليفة إلى أمور العلم الفرصة لزوجته صبيحة كى تتحمل عنه عبء إدارة شئون الدولة ، وكانت ذكية نابهة حكيمة شديدة التدبير ، وهذا ما دفع بالخليفة كى يمنحها سلطات واسعة أدت بها لتصبح صاحبة الكلمة النافذة المسموعة فى كل ربوع الأندلس ، وقد حملت العبء بكل نجاح وتفوق .

مرض الخليفة الحكم المستنصر وأصبح على وشك الموت ، فدعت صبيحة لعقد مجلس كبير ضم أشراف وأعيان وقادة الجند فى الأندلس ، وفى ذلك الاجتماع قرأ الخليفة على الحاضرين صيغة إقرار بقبولهم تولى ابنه هشام الخلافة من بعده ، وكان هذا الإقرار هو ذروة الجهد الذى قامت به صبيحة ، فقد تمكنت من تأمين الخلافة لابنها هشام بن الحكم وعمره لا يتجاوز الحادية عشرة ، بينما أبعد شقيقه المغيرة بن الحكم وكان شاباً فى السادسة والعشرين من عمره .

وقد ساعدها فى جهدها محمد بن أبى عامر ، الذى نجح فى نشر الدعوة لهشام بين وجوه الأندلس ، وبعد عدة أيام ، توفى الخليفة الحكم المستنصر وهو فى الرابعة والستين من عمره ، وتولى الخلافة من بعده ابنه هشام بن الحكم تحت وصاية والدته

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صبيحة ، كما انفردت بحكم الأندلس ، فدبرت مؤامرة قضت فيها على المغيرة بن الحكم ومن التف حوله من الأعوان وبموت المغيرة انفردت بحكم الأندلس ، وهكذا ظهرت صبيحة ملكة فعلية تدير سياسة الأندلس ، فقامت بتخفيض الضرائب عن الناس وركزت نشاطها فى مجال العمران والاقتصاد ، وضبطت الأمن وقضت الحاجات وأعطت للنهضة العلمية والأدبية كل رعايتها حتى وقف الشعراء على بابها ينشدون رضاها ، واستقطب بلاطها سفراء من مختلف دول العالم ، وظلت قائمة على رأس الحكم ، تدير شئون البلاد بكل جدارة وهى تعارك الدهر حتى توفيت فى عام ٣٩٨هـ حيث بدأت أحوال الأندلس تتدهور بعدها شيئاً فشيئاً ، وأصبحت تشهد أيام الذل بعد أن عاشت أيام العز والمجد .

بعد هذا العرض الموجز لنماذج من مشاركة المرأة المسلمة فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية - بعد استخلاصها من نصوص الكتاب والسنة - يحق لنا أن نتساءل : هل يمكن اعتبار هذه المشاركة من سنن النبى ﷺ ؟ وللجواب عن هذا التساؤل نقول : إن النصوص التى وردت بشأن هذه المشاركة وثمرتها فى المجتمع تقطع بأن مشاركة المرأة ولقاءها الرجال - بضوابط وآداب المشاركة - سنة من سننه ﷺ ، وليست تفيد الجواز فحسب ، وإنما تفيد المنهج الراشد الذى يجب اتباعه عملاً بقوله ﷺ : " من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة " .

واطراد هذا النصوص وتواترها وكثرتها تفيد تأكيد هذه المشاركة وإنها كانت مطبقة تطبيقاً عملياً فى جميع المجالات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العامة والخاصة من ناحية الرسول ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم ، حتى كانت سمنا عاما للمجتمع المسلم فى عهد النبى ﷺ .

وإذا كان بعض السلف - مع إقرارهم بجواز المشاركة - قد فضلوا اعتزال النساء والرجال تحت دعوى سد الذرائع وسنوا بذلك سنة جديدة فَفَعْلُ رسول الله ﷺ أحب إلينا من فعل غيره ، وسنته أحب إلينا من سنة غيره .

ويعزز هذا أن الاقتداء به ﷺ فى أفعاله محمود ما لم يقم دليل على الخصوصية وهو القائل :

" خير الهدى هدى محمد ﷺ " .

فالله سبحانه وتعالى قد شرعَ لنا النهج القويم الذى يليق بالرجال والنساء والأطهار الشرفاء إذا روعيت آداب المشاركة واللقاء ، ومن ناحية أخرى نهج الحياة النشطة الخيرة إذا حرص الأطهار الشرفاء على جنى ثمار المشاركة فى اللقاء .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واقع المرأة فى المجتمعات الإسلامية المعاصرة

تعرضت الأمة العربية والإسلامية فى مرحلة التخلف والانحطاط لظروف سياسية واقتصادية واجتماعية صعبة ، انعكست معطياتها على أوضاع المرأة ، فطمست كثيراً من السمات الرئيسية التى تم التأكيد عليها فى مراحل سابقة ، والتى تبرز مكانة المرأة ودورها فى المجتمع ، وتوافق ذلك مع ظهور أعراض مرضية عديدة ، فمشاركة المرأة فى بناء المجتمع تعتبر سمة أساسية فى التراث الإسلامى كما رأينا، أما عزلها عن المشاركة فمسألة ترتبط بأعراض التخلف وليست بجوهر التراث ، إن تاريخ المرأة العربية المسلمة زاخر بالبطولات والأحداث ، أما الكبوات فهى أعراض ارتبطت بظروف التخلف والجهل والقهر ... وعلى الباحث أن يميز بين السمات الأساسية لواقع وأوضاع المرأة العربية ومعاييرها الصحيحة وبين الأعراض المرضية التى تداخلت وتحولت بعد ذلك إلى مسببات ، مما جعل بعض الباحثين يخلط بين ما هو أصيل من التراث وما هو دخيل عليه .

إن التمييز بين السمات والأعراض يعتبر مسألة جوهرية فى التعرف على الخصائص الأساسية لواقع المرأة بما يعمل على تدعيم وتنشيط بعض خلاياه التى ضمرت خلال فترة الانحلال والتخلف ، فمن الأعراض أن تصبح المرأة مجرد عنصر لا فاعلية له ، بعيدة عن كل ما يجرى فى المجتمع الذى تعيش فيه وعقلها غارق فى الجهل ، ومن السمات أن تمارس النشاطات الأساسية فى المجتمع على اختلاف المستويات .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يراجع : المرأة المسلمة والتحديات الاجتماعية . د/ محمد صفوت القرنى ، بحث مقدم إلى ندوة الإيسيسكو فى القاهرة سنة ١٩٩٤م .

وتظهر فى إطار المجتمعات المعاصرة تحديات اقتصادية واجتماعية متنوعة تجابه واقع المرأة وتعد ظروفا موضوعية بالنسبة إليها ، مما يدفع المرأة إلى العمل لتجاوز هذه التحديات والانتقال إلى مرحلة يتحقق فيها أفضل المستويات الاقتصادية والاجتماعية والأسرية لتصبح المرأة عنصرا فاعلا وبناءً فى المجتمع المعاصر .

أ- العمل والمشاركة فى النشاطات الانتاجية العامة :

تكمن أهمية العمل فى منحنيين ، يرتبط الأول بواقع المرأة ضمن أسرتها ، ويتعلق الثانى بالظروف الاجتماعية العامة ، فيؤدى تكامل هذين العنصرين إلى ظهور العمل كضرورة اجتماعية ملحة فى إطار عمليات التغير الاجتماعى الكبير أصبحت الروابط الاجتماعية قائمة على دعائم ومعايير مختلفة عن المعايير التى تعرفها المجتمعات التقليدية ، فبينما كانت الروابط الاجتماعية قائمة على الاقتصاد الزراعى وعلى روابط القربى فى المرحلة التقليدية ، أخذت تكتسب أشكالاً جديدة فى المرحلة العصرية ، غير أنها لا تحمل فى شكلها الجديد عملية الضمان الاجتماعى التى كانت بارزة فى السابق وخاصة فيما يتعلق ببناء الأسرة ، مما ترتب عليه تفكك فى العلاقات الاجتماعية وبُعد عن صلات القربى والتكافل الاجتماعى والقيم والمبادىء الدينية ، فأصبحت ظاهرة الطلاق مثلا تهدد المرأة على نطاق واسع ، أو تجعل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

استقرارها الاجتماعى غير مضمون إذا ما حدث خلاف حقيقى مع زوجها .

فأصبح عمل المرأة على المستوى الذاتى واحداً من الضمانات الأساسية التى تعتمد عليها فى استقرارها النفسى والاجتماعى ..

وعلى طرف مقابل ، ومع توافر شروط التعاون بين الزوجين والتفاهم بينهما يأخذ عمل المرأة دوراً آخر ، حيث يساهم فى تحسين واقع مستوى معيشة الأسرة ، ويؤدى إلى تحقيق الكماليات خاصة إذا كان دخل الزوج محدوداً ولا يكفى لسد مطالب الأسرة الأساسية على نحو إيجابى فى الوقت الذى يجعل الأسرة مدفوعة إلى تأمين احتياجاتها من خلال عمل أفرادها ، ودون الاعتماد على الغير ، وبذلك يبرز عمل المرأة كاستجابة لمسائل التغيير الواسعة .

وعلى مستوى المجتمع ، تظهر إمكانية كبيرة لاستيعاب عمل المرأة نتيجة التوسع الكبير فى النشاطات الاقتصادية المتنوعة ، فيتوفر بذلك شرط الضرورة لدخول المرأة ميدان الانتاج ، فيصبح عمل المرأة تحدياً اجتماعياً يجابه واقع المرأة .

وهناك صورة المرأة العاملة التى مع أنها قليلة العدد نسبياً إلا أنها تتعزز كل يوم ، وأصبح العمل بالنسبة للمرأة مصدراً للرزق وسد الحاجة وهو عون على الزمن ودفع عن السؤال ... وهكذا تجابه المرأة تحدياً كبيراً فى هذه الصورة للتوفيق بين حركتها فى المجتمع وحركتها فى المنزل .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ب - التعليم والتثقيف العام:

تشترك مسألة التعليم مع العمل فى كونها ضرورة اجتماعية أخذت تتزايد بشكل مستمر مع التحولات المجتمعية الواسعة وتتأكد هذه الأهمية على مستويات عديدة منها ما يتعلق بواقع المرأة ذاتها ، ومنها ما يرتبط ببناء الأسرة ، ومنها ما يرتبط بالمجتمع عموماً .

وتكمن أهمية التعليم بالنسبة للمرأة فى كونه يساهم فى التكوين النفسى والاجتماعى للمرأة ، بحيث تكون قادرة على معالجة المشكلات التى قد تعترض حياتها الجديدة .

وهناك صورة المرأة الرائدة المفكرة والكاتبة والشاعرة والمناضلة التى وقفت وتقف إلى جانب الرجل ، تعاضده فى السياسة والعمل والفكر والريادة والتضحية وشئون الحياة .

جـ - أساليب التنشئة ، وكيفية اتخاذ القرار فى الأسرة :

يتصف المجتمع التقليدى بمجموعة من الروابط الاجتماعية التى تحدد طبيعة التفاعل ضمن الأسرة ، حيث تتركز فى شخصية الزوج السلطة الاجتماعية داخل الأسرة .

ومع التحول الاجتماعى الواسع ، أخذت شرعية الرجل فى ممارسة سلطته تتضاءل فى الوقت الذى ظهرت فيه القدرات الذاتية للمرأة ، فأصبحت تشارك الرجل فى الكثير من القرارات الاجتماعية ، فازداد إحساسها بالمسئولية الاجتماعية الملقاة على عاتقها فى مجتمع متغير ، لتتمكن من تربية أبنائها تربية أفضل .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعض الظواهر الاجتماعية الجديدة المرتبطة بنشاط المرأة الاجتماعى :

(١) ظاهرة تقدم التعليم وتنوعه وتعدد مراحله مع تعميمه على الذكور والإناث ! وهذه أثمرت قدرة المرأة على ممارسة نشاطات اجتماعية جديدة .

(٢) ظاهرة نمو الروح الجماعية وتكوين المؤسسات العامة وهذه بحاجة إلى جهود الخيرات من النساء بجانب جهود الخيرين من الرجال .

(٣) ظاهرة التخلف العام وبخاصة فى بعض مجتمعاتنا حيث يشتد الفقر والجهل والمرض والانحراف وتكثر الفوضى واللامبالاة ، وهذه الظاهرة أثمرت الحاجة إلى تعدد صور النشاط الاجتماعى وشموله الرجال والنساء ليخفف من ويلات التخلف ويعمل على النهوض بالمجتمع .

(٤) ظاهرة ناشئة ما زالت فى بداية نموها ... وهى الوعى الدينى بمسئولية الفرد المسلم رجلاً وامرأة نحو مجتمعه ، مع الوعى فى الوقت نفسه بأهمية التعاون الاجتماعى على تحقيق هذه المسئولية .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خاتمة

كما أشرنا فى بداية البحث فإن الإسلام هو الدين الخاتم ، وهو الدين الوسط ، والله عز وجل يقول فى كتابه الكريم :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ البقرة /١٤٣ ، والوسط الذى يناسب المرأة المسلمة ويصلح حالها هو ذلك الذى أشرنا إليه وهو الذى يعترف بالمرأة باعتبارها نفساً بشرية جديرة بالاحترام ، وطاقة إنسانية خليقة بالتقدير ، وأن إهدارها هو حرمان للمجتمع من هذه الطاقة التى يمكن أن تكون نافعة وبناءة إذا أمكن توجيهها فى إطار مبادىء الإسلام ودون خروج على أى من ثوابته ، وهو كذلك الذى يعترف للمرأة بحق التعليم وحق العمل فى بناء المجتمع المسلم ونهضته ليس فقط من خلال عملها فى البيت وهو ميدانها الأساسى ولكن أيضاً من خلال ميادين العمل المختلفة .. ولتكن القاعدة الأساسية والمنطلق الحتمى لكل ذلك قوله تعالى :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة /٧١.

والله من وراء القصد وهو سبحانه الهادى إلى سواء السبيل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مراجع البحث :

(١) القرآن الكريم .

(٢) تفسير القرآن الحكيم (المنار) للشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا .

(٣) مسلم بشرح النووى .

(٤) فتح البارى شرح صحيح البخارى للعسقلانى .

(٥) أحكام عبادات المرأة فى الشريعة الإسلامية للدكتورة/ سعاد إبراهيم صالح .

(٦) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكانى .

(٧) أعلام الموقعين عن رب العالمين . ابن القيم الجوزيه .

(٨) زاد المعاد فى هدى خير العباد . ابن القيم الجوزيه .

(٩) عمل المرأة فى الميزان د/ محمد على الباز .

(١٠) حقوق النساء فى الإسلام . محمد رشيد رضا .

(١١) المرأة فى التصور الإسلامى . عبد المتعال محمد الجبرى .

(١٢) من فقه الدولة فى الإسلام . د/ يوسف القرضاوى .

(١٣) مكانة المرأة فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة . د/ محمد بلتاجى حسن .

(١٤) المرأة المسلمة فى وجه التحديات . أنور الجندى .

(١٥) تحرير المرأة فى عصر الرسالة . عبد الحليم أبو شقة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١٦) وضع المرأة فى العالم الإسلامى . مجموعة دراسات وأبحاث من منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) سنة ١٩٩٤م .

(١٧) مائة أوائل من النساء . سليمان سليم البواب .

(١٨) صحابيات حول الرسول ﷺ د/ عبد الصبور شاهين وإصلاح عبد السلام الرفاعى .

(١٩) النساء والإفتاء . بحث للدكتورة / سعاد إبراهيم صالح .

(٢٠) قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة . الشيخ / محمد الغزالى .

(٢١) الإسلام والمرأة المعاصرة . البهى الخولى .

(٢٢) عائشة والسياسة . سعيد الأفغانى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner